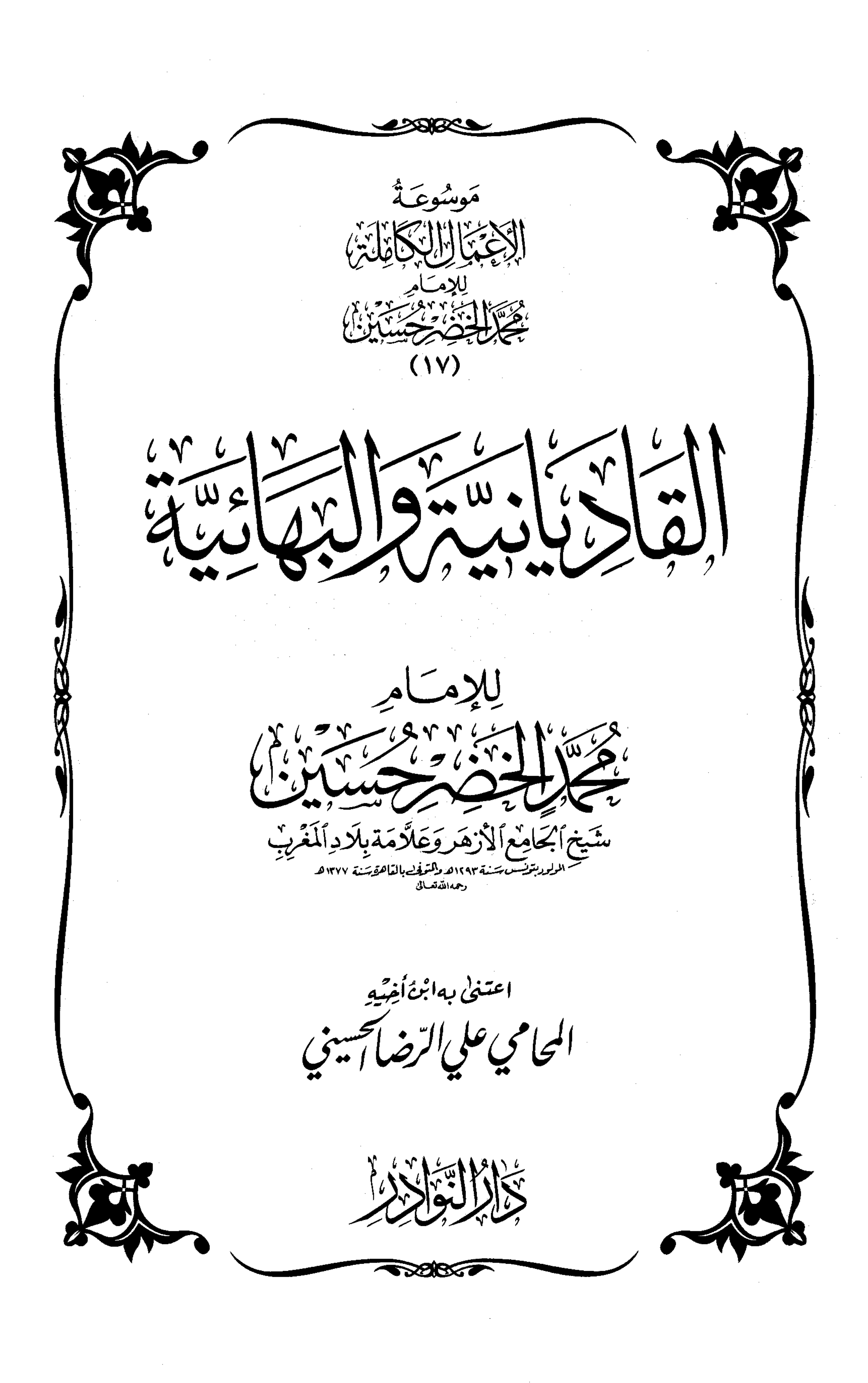


موسوعة
الأعمال الكاملة
للإمام
محمد الخضر حسين
(١٧)

القاديانية والبهائية

للإمام
محمد الخضر حسين
شيخ الجامع الأزهر وعلامة بلاد المغرب
المولود بتونس سنة ١٢٩٣ هـ والمتوفى بالقاهرة سنة ١٣٧٧ هـ
رحمه الله تعالى

اعتنى به ابن أخيه
المحامي علي الرضا الحسيني

دار النوادر



الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

ردمك: ٦ - ٣٦ - ٤١٨ - ٩٩٣٣ - ٩٧٨ : ISBN
9789933418366

دار النوادر

سورية - لبنان - الكويت

مُؤَسَّسَة دَار النَّوَادِر م. ف - سُورِيَة * شَرِكَة دَار النَّوَادِر اللُّبْنَانِيَّة ش. م. م - لُبْنَان * شَرِكَة دَار النَّوَادِر الكُوَيْتِيَّة - ذ. م. م - الكُوَيْت

سورية - دمشق - ص. ب: ٣٤٣٠٦ - هاتف: ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس: ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)
لبنان - بيروت - ص. ب: ١٤/٥١٨٠ - هاتف: ٦٥٢٥٢٨ - فاكس: ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)
الكويت - حولي - ص. ب: ٣٢٠٤٦ - هاتف: ٢٢٦٣٠٢٢٣ - فاكس: ٢٢٦٣٠٢٢٧ (٠٠٩٦٥)

أسسها سنة: ٢٠٠٦م
نُورُ الدِّين طَالِب
المدير العام والرئيس التنفيذي



المقدمة

في كل زمان ومكان يطل أعداء الإسلام برؤوسهم الخبيثة، وأفكارهم السقيمة، وأقلامهم الزائفة عن الحق، محاولين الطعن والمساس بالشريعة الإسلامية الغراء، فينبري لهم علماء أجّلة يردون عن الدين كيدهم، ويدفعونهم على أعقابهم خاسئين خاسرين.

وفي حياة الإمام الأكبر المرحوم محمد الخضر حسين ـ رضوان الله عليه ـ مواقف عظيمة، ومشاهد جليلة، ذاد فيها عن الدين الحنيف هجمات الباطل التي قام بها حملة الضلال والإفساد، فصرعهم الحق، ورماهم في ظلام النسيان، ولم نسمع لهم فحيحاً من بعد.

وطائفة القاديانية، وكذلك طائفة البهائية أو البابية، تعرض المؤلف لهما في هذا الكتاب، وكشف القناع عن زيف آرائهما، ودفع بالحجة الساطعة أباطيل دعوتيهما، وكان لهذه المقالات شأنها الكبير في فضح هاتين الطائفتين أمام أنظار المسلمين، وحصر البلاء في نطاق، ومنع انتشاره بين الناس، ومن ثمَّ القضاء عليه.

وليعلم القارئ: أن جميع أبحاث هذا الكتاب سبق أن نشرت في مجلة «نور الإسلام» التي يصدرها الجامع الأزهر في القاهرة، وترأس الإمام رئاسة تحريرها فترة من الزمن، وقد أشرنا إلى ذلك في مطلع كل مقال. ونضيف:

أن بحث «طائفة القاديانية» سـبق أن نشـر في رسـالة مطبوعة عام ١٣٥١هـ بالقاهرة، كما أن بحث «البابية أو البهائية» نشر في كتاب «رسائل الإصلاح» الطبعة الأولى منه.

والله نسأل السداد والتوفيق.

علي الرضا الحسيني





طَائِفَةُ القَادِيَانِيَّة

* **طائفة القاديانية :**

غلام أحمد : أصله، وولادته، ونشأته ـ ادعاء غلام أحمد الوحي والنبوة والرسالة ـ زعمه أن له آيات على صدقه ـ غروره وتفضيله نفسه على بعض رسل الله الأكرمين ـ تكفيره لمن لا يؤمنون برسالته ـ القاديانية فرقتان ـ وجوب مقاومتهم، والتحذير منهم.

* **تفنيد مذهب القاديانية :**

خيبة مدعي النبوة كذباً ـ انقطاع النبوة بعد رسول الله ﷺ ـ دفع شبهة يتشبث بها القاديانية ـ دعوى غلام أحمد أنه أفضل من عيسى عليه السلام ـ تكفير غلام أحمد لمن عصمهم الله من اتباعه ـ تزوير داعية القاديانية ـ اقتراح غلام أحمد على علماء الهند أن يتركوه عشر سنين ـ ادعاء غلام أحمد النبوة.

* **نقض شُبه القاديانية :**

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾[الأنعام: ٩٣].

(صدق الله العظيم)

قيل للأحنف بن قيس :

4412

- إن المختار بن عبيد يزعم أنه يوحى إليه.

فقال: صدق، وتلا:

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾[الأنعام: ١٢١].

❑ ❑ ❑



طَائِفَةُ القَادِيَانِيَّة(١)

بُعث محمد ﷺ بشريعة واضحة لا يحوم عليها لَبس، محكمة لا تدنو منها شُبهة، وتلقاها عنه رجال صفت بصائرهم، وتناهت في فهم سبل الخير عقولهم، فبلَّغوها كما أمروا، وجاهدوا في سبيلها حتى انتصروا، وما زال الدين الحق ـ ولن يزال ـ رفيعَ الدعائم، محفوظاً من أن تلعب به يد الأهواء والمكايد، والفضل في هذا الحفظ للكتاب الكريم، والسّنة الصحيحة؛ فإنهما قد وجدا ـ وسيجدان ـ في كل عصر عقولاً تنظر فيهما وهي مبرأة من كل عوج، بعيدة من كل هوى، فسرعان ما تبصر الحقائق محفوفة بحجج تقطع لسان كل جهول، وتفضح سريرة كل ختال فخور، قال الله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقد دلنا التاريخ الصادق أن الدين الحنيف يُبتلى في كل عصر بنفوس نزّاعة إلى الغواية، فتتنكب عن الحقائق، وتمشي في تحريف كلمه مكبّة على وجهها.

وليس هذا الإغواء بمقصور على من يدّعون التفقه في الدين ولم يتفقهوا؛ ككثير من زعماء الفرق المنحرفة عن الرشد، بل يتعداهم إلى فئة تسوّل له

---

(١) مجلة «نور الإسلام» ـ الجزء السابع من المجلد الثالث. كما طبع هذا البحث في رسالة خاصة عام ١٣٥١هـ ـ بالقاهرة.

نفوسهم ادعاء أنهم مهبط الوحي، وأنهم يتلقون ما يقولونه بأفواههم من الله تعالى بدون وسيلة كتابه الحكيم، وحديث رسوله الكريم.

ومن مدّعي النبوة من يذهب فينقطع دابره؛ كالحارث بن سعيد الذي ظهر في أيام عبد الملك بن مروان، واغتر به خلق حتى وقع في يد عبد الملك فقتله، ولم يبق له في الأرض أثر، وكإسحاق الأخرس الذي ظهر في خلافة السفّاح، واتبعه طوائف، وقتل فانقطعت فتنته.

ومن مدعي النبوة من يبقى لدعوته أثر بعد موته، ومن هذا الصنف غلام أحمد مبتدع النحلة القاديانية.

كثيراً ما وردتنا رسائل من البلاد العربية وغيرها ـ كأمريكا ـ يسأل كاتبوها عن أصل هذه النحلة، ومبلغ صلتها بالإسلام، وبالأحرى: بعد أن ظهر المقال الذي كشفنا فيه الغطاء عن النحلة البهائية، ونشرناه في الجزء الخامس من المجلد الأول من مجلة «نور الإسلام»[1]. ووردتنا رسائل أخرى مطوية على ما يصرح به دعاة هذه النحلة من الآراء، ويقترح مرسلوها نقد هذه الآراء، وتحذير المسلمين من الوقوع في مهالكها، ولم نشأ التعرض للكتابة في شأنها قبل اليوم؛ إذ لم يكن لدينا من كتب أصحابها ما نطلع به على أساسها، ونعرف منه حال واضعها.

وقد انساق إلينا اليوم من كتب مبتدعها غلام أحمد وبعض دعاتها ما جعلنا على بينة من أمرها، وها نحن أولاء نضع أمام حضرات القراء فصولاً فيما تقوم عليه هذه النحلة من المزاعم الخاطئة، ونلقي عليهم كلمات في نشأة واضعها؛ ليكونوا على بصيرة من أنها دعوى زائغة، ولا يغيب عنهم

(١) المقال منشور في هذا الكتاب.

أن دعاتها الذين يجوسون خلال ديار الإسلام إنما يثيرون في نفوس شبابنا فتنة، والفتنة أشد من القتل.

*** غلام أحمد: أصله، وولادته، ونشأته:**

ساق غلام أحمد نسبه، فذكر أن آباءه كانوا يسكنون «سمرقند»، ثم رحلوا إلى الهند، واستوطنوا «قاديان»، وصارت لهم الرياسة في تلك الناحية. ثم دارت عليهم الدوائر، وانهالت عليهم المصائب، وذهبت عنهم تلك الرياسة، ونهبت أموالهم، وقال: «ثم ردّ الله إلى أبي بعض القرى في عهد الدولة البريطانية».

ولد غلام أحمد سنة ١٢٥٢هـ، ولما بلغ سن التعليم، شرع في قراءة القرآن، وبعض الكتب الفارسية، ولما بلغ العاشرة من عمره، تعلم اللغة العربية، ولما بلغ السابعة عشرة، اتصل بأستاذ، فتلقى عنه النحو والمنطق والفلسفة. وقرأ على أبيه كتباً في علم الطب. أما العلوم الدينية، فلم يدرسها على أي معلم، وإنما كان له ولوع بمطالعتها[١].

وعندما قطع مسافة في التعلم، كانت السلطة البريطانية قد امتدت على «البنجاب»، وكان الشبان يطمحون إلى المناصب، فاندفع غلام أحمد يبحث عن وظيفة، فذهب إلى «سيلكوت»، وتقلد وظيفة في إدارة نائب المندوب السامي، ثم استقال منها بعد أربعة أعوام؛ إجابة لرغبة أبيه الذي رأى نفسه في حاجة إلى مساعدته له في إدارة شؤونه الخاصة.

---

(١) عن كتاب باللسان الإنجليزي لمحمود بن غلام أحمد اسمه: «أحمد رسول آخر الزمان».

وفي سنة ١٨٧٦م[1] مرض أبوه، فزعم غلام أحمد أنه نزل عليه وحي من الله بأن أباه سيموت بعد الغروب، وكان هذا الإخبار في زعمهم أول وحي نزل عليه. وأخذ بعد هذا يصرح ببعض آراء زاعماً أنه يتلقاها من طريق الوحي، وكان المسلمون يلاقون هذه المزاعم بالإنكار الشديد، فرحل إلى بلدة «لودهيانة»، وأذاع منشوراً أعلن فيه أنه المسيح المنتظر، فقام في وجهه علماء الشريعة بالإنكار، ومن بين هؤلاء العلماء: مولوي محمد حسين صاحب جريدة «إشاعة السنّة».

ودعا مولوي محمد حسين كثيراً من العلماء إلى «لودهيانة» لمناظرة غلام أحمد، ولكن الوالي (الكوميسر) في هذه الناحية كان في جانبه؛ فمنع من عقد المناظرة، وأرغم مولوي محمد حسين ومن معه من العلماء على مغادرة البلد في اليوم نفسه.

ثم انتقل غلام أحمد إلى «دهلي» داعياً إلى نحلته، فواجهه العلماء بالإنكار، وطلبوه للمناظرة فيما يدعو إليه، وقرروا أن يتولى مناظرته مولوي نظير حسين أستاذ الحديث، فلم يجب غلام أحمد للمناظرة، ولكن ـ كما يقول أتباعه ـ دعا مولوي نظير حسين إلى المباهلة: بأن يحلف هذا الأستاذ على أن عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ لم يزل حياً، وإذا حلف، ولم ينزل عليه في خلال سنة بلاء، يكون غلام أحمد كاذباً في نبوته، ولكن مولوي نظير حسين ومن معه من العلماء أبوا أن يسلكوا مع غلام أحمد هذه الطريقة بدل ما دعوه إليه من المناظرة.

وبعد هذا دعا أهالي «دهلي» مولوي محمود بشير من مدينة «بهوبال»

---

(١) نستعمل التاريخ الإفرنجي؛ لأنه الوارد في كتبهم التي ننقل عنها هذه الحوادث.

لمناظرة غلام أحمد، حكى هذا محمود بن غلام أحمد، ولم يزد على أن قال: وطبعت هذا المناظرة.

وفي سنة ١٨٩٢ ذهب إلى «لاهور» أيضاً. فجرت بينه وبين مولوي عبد الحكيم مناظرة؛ ذكر هذه المناظرة أيضاً محمود بن غلام أحمد، ولم يتعرض لوصفها، أو لمن كان له الفوز في نهايتها. وفي سنة ١٨٩٦ عقد مؤتمر الأديان في «لاهور»، وحضره ممثلو ملل كثيرة، ويقول محمود بن غلام أحمد: إن غلام أحمد هو الذي اقترح عقد هذا المؤتمر، وغرضه من هذا الاقتراح: تعريف العالم بحقيقة رسالته، وقالوا: إنه كان عندما شرع في كتابة المقال الذي أراد إلقاءه في المؤتمر، أخذه إسهال عنيف، ثم أتمه، وزعموا أنه أوحي إليه بأن مقاله سيفوق كل ما يلقى في المؤتمر، ولا ينتظر منهم بعد هذا إلا أن يقولوا: إن مقاله في المؤتمر كان فوق كل مقال، وذكروا أن أتباعه لذلك الحين لا يزيدون على ثلاث مئة شخص.

وفي سنة ١٨٩٧ دعا حسين كامي سفير تركيا في البنجاب غلام أحمد للاجتماع، فلم يجب، فذهب إليه بنفسه، وسمع منه ما يدَّعيه من نزول الوحي، وبعد انصرافه عنه، نشر في صحف «لاهور» مقالاً أنكر فيه ما يدعيه غلام أحمد أشد الإنكار، وكان لهذا المقال أثر في ازدياد حنق المسلمين على غلام أحمد في تلك البلاد.

وفي تلك السنة نشر غلام أحمد تحت عنوان: (الصلح خير) خطاباً لعلماء الإسلام يدعوهم فيه أن يكفوا عن معارضته، والتشنيع عليه مدة عشر سنين، فإذا كان كاذباً، فسيصادفه ما يظهر كذبه، وإذا تبين صدقه، فستكون هذه الهدنة سبباً لمعرفتهم للحق، ونجاتهم من العقاب الذي

ينزله الله على من يناوئونه.

ولم تجد هذه المكيدة عند علماء الإسلام غباوة، فرفضوا هذا الاقتراح، واستمروا على تفنيد آرائه، وتحذير الناس من السقوط في ضلالته.

وفي هذه السنة قصد غلام أحمد إلى التخلص من حملة المنكرين عليه، فلجأ إلى حاكم الهند العام، وقدم له مطلباً قال فيه: إن أصل اضطراب الهند هو المشاغبات الدينية، فيجب وضع قانون يسوغ لأتباع كل دين إظهار حقائق دينهم، ويحميهم من تعرض غيرهم له.

وفي سنة ١٨٩٨ وضع لأتباعه قانوناً هو أن لا يزوجوا بناتهم لمن لم يكن مصدقاً بنبوته، وفي هذه السنة أسس مدرسة بقاديان لتعليم أبناء شيعته حتى يشبوا على مبادئ نحلته.

وفي سنة ١٩٠٠ بنى مسجداً بقاديان، ولكن أقاربه الذين سلمهم الله من نزعاته بنوا أمام هذا المسجد جداراً جعل أشياعه لا يصلون إلى المسجد إلا بعد أن يمشوا مسافة طويلة، فرفع غلام أحمد عليهم دعوى، فقضت المحكمة بإزالة الجدار.

وفي هذه السنة ألقى على طائفته الخطبة التي يسميها: «الخطبة الإلهامية»، وأتباعه يعدونها من معجزاته، وسننقل فيما بعد شيئاً من هذيانها وضلالاتها.

وفي سنة ١٩٠١ أمر أتباعه بإحصاء عددهم، وتقييد أسمائهم في سجل، قال ابنه محمود بشير: هذه السنة مبدأ التفريق بينهم وبين المسلمين.

وفي سنة ١٩٠٢ أصدر مجلة لنشر مذهبه سماها مجلة: «الأديان»، وهي تنشر باللغتين: الأوردية والإنكليزية، وكان يكتب فيها بعض مقالات بنفسه. وفي هذه السنة أقام عليه السيد كريم الدين قضية ادعى فيها أنه تناوله

بالقذف، واستدعي غلام أحمد إلى المحاكمة ببلدة «جهلوم»، وحضر لدى المحكمة، فقضت ببراءته.

وفي سنة ١٩٠٣ قتل أحد دعاة مذهبه، وهو سيد عبد اللطيف بمدينة «كابل» بسبب مروقه من الدين، وفي هذه السنة كتب غلام أحمد مقالاً خرج فيه إلى شتم السيد كريم الدين حتى قال عنه: إنه كذاب لئيم، فرفع عليه السيد كريم الدين قضية قذف ثانية، واستدعي غلام أحمد إلى المحاكمة ببلدة «جردسبور»، فقضت عليه المحكمة بغرامة قدرها ٥٠٠ روبية، فاستأنف القضية لدى محكمة «أمرتسر»، وكان القاضي إنجليزياً، فنقض الحكم الأول، وقضى ببراءته.

وسافر بعد إلى، «لاهور»، و«سيلكوت» ليخطب داعياً إلى مذهبه، فأصدر العلماء هنالك منشوراً ينصحون فيه الناس بأن لا يستمعوا إلى خطبه، وخطب مرة واحدة، فثار الناس عليه بالإنكار، وحاولوا رميه بالحجارة، ولكنه كان ـ كما هو شأنه في هذه المواقع ـ محاطاً بالشرطة (البوليس)، فحموه حتى ركب القطار هارباً.

وفي سنة ١٩٠٥ أسس مدرسة دينية عربية في «قاديان» لتخريج دعاة عارفين بمقاصد نحلته، وفي هذه السنة سافر إلى «دهلي»، فقام العلماء في وجهه، ولم يتمكن من الخطابة في محل عام، إلا أن دعا طائفة إلى المنزل الذي يقيم فيه؛ ليبث بينهم مبادئ مذهبه، فلقي من بعض الحاضرين معارضة وإنكاراً، فغادر المدينة خائباً.

وعند عودته من «دهلي» مر على بلد «أمرتسر»، وعزم على إلقاء خطبة في قاعة المحاضرات، وجاء العلماء يحذرون الناس من الاستماع إليه، ولما

دخل قاعة المحاضرات، وأخذ يخطب، قدم له أحد أتباعه قدح شاي، وكان الاجتماع في نهار رمضان، فأخذ منه الرشفة الأولى، فصاح الحاضرون بالإنكار عليه، فأجاب بأنه مسافر، وقد رخص للمسافر الفطر في رمضان، ووقع عقب هذا هياج، فانقطع عن الخطابة، وانصرف في حماية الشرطة (البوليس)، واضطر إلى مغادرة المدينة.

وفي سنة ١٩٠٥ زعم أنه أوحي إليه أن أجله قد قرب، وكتب الكتاب المعروف عندهم بالوصاية، ولكن أجله امتد بعد هذا نحو ثلاث سنين، وفي هذه السنة زعم أنه أوحي إليه بإنشاء مقبرة خاصة لأتباعه، وفرض على من يريد الدفن فيها أن يهب لخزنتهم ربع ماله.

وفي سنة ١٩٠٧ قامت حركة وطنية في «البنجاب»، فانحاز غلام أحمد إلى جانب الحكومة، وأذاع منشوراً دعا فيه أتباعه إلى موالاة الحكومة ومساعدتها على إخماد الحركة الوطنية، ففعلوا.

وفي هذه السنة انعقد مؤتمر الأديان في «لاهور»، وحضره مندوبو الديانات، وبعث غلام أحمد مقالاً ليقرأ في المؤتمر، ولما قام أحد أتباعه لقراءته، قابله جماعة من الحاضرين بالازدراء، ورموه بكلمات الاستهزاء.

وفي سنة ١٩٠٨ ذهب إلى «لاهور»، وعندما وصل إليها، أنكر المسلمون مجيئه، وصار العلماء يجتمعون كل يوم بعد صلاة العصر في براح حول منزله، ويلقون خطباً يحذرون فيها الناس من الاغترار بمزاعمه.

وكان غلام أحمد مبتلى بإسهال مزمن، فاشتد عليه وهو في «لاهور»، ومات في مايو من هذه السنة ١٩٠٨ الموافقة لسنة ١٣٢٦هجرية، ونقل إلى «قاديان»، ودفن بها، وانتخب أتباعه لرياسة المذهب حكيم نور الدين حتى

مات سنة ١٩١٤، فانتقلت الرياسة إلى بشير الدين محمود ابن واضع هذه النحلة غلام أحمد، وهو رئيسهم لهذا العهد.

* **ادعاء غلام أحمد الوحي والنبوة والرسالة:**

يزعم غلام أحمد أنه ينزل عليه الوحي، ومما قاله في الخطبة الإلهامية: «هذا هو الكتاب الذي ألهمت حصة منه من رب العباد في يوم عيد من الأعياد».

ثم قال: «بل هي حقائق أوحيت إليّ من رب الكائنات». ثم قال: «وقد أوحي إليّ من ربي قبل أن ينزل الطاعون أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا».

ولم يدَّع أحد من الصحابة، ولا من السلف الصالح أنه يأتيه الوحي من الله، ولو اقتصر غلام أحمد على دعوى الوحي، لقلنا: لعله يريد من الوحي: الإلهام؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾[النحل: ٦٨].

ويبقى النظر فيما زعم من الإلهام، فإن كان موافقاً لنصوص الدين أو أصوله، سكتنا عنه، وإن كان مخالفاً لشيء منه، رددناه عليه. ولكنه يصرح في كتبه بأنه نبي ورسول، قال في الخطبة الإلهامية: «أرأيتم إن كنت من عند الله، ثم كذبتموني، فما بالكم أيها المكذبون». وقال: «إنكم ترون كيف تنصر الناس، وارتدوا من دين الله؛ ثم تقولون: ما جاء مرسل من عند الله، مالكم كيف تحكمون». وقال: «فأنعم الله على هذه ـ يعني: أمة الإسلام ـ بإرسال مثيل عيسى، وهل ينكر بعده إلا العمون». وقال: «وكان عيسى علماً لبني إسرائيل، وأنا علم لكم أيها المفرطون»!.

وفي منشور لأصحابه عنوانه: «شرائط الدخول في جماعة الأحمدية» ما نصه: «إن المسيح الموعود ـ يعني: غلام أحمد ـ كان مرسلاً من الله تعالى،

وإنكار رسل الله تعالى جسارة عظيمة قد تؤدي إلى الحرمان من الإيمان».

وقال أحد دعاتهم أبو العطاء الجلندهري: «كلّم الله أحمد ـ يعني: غلام أحمد ـ بجميع الطرق التي يكلم بها أنبياءه؛ لأن الأنبياء في وصف النبوة سواء[1]».

يدّعي غلام أحمد النبوة والرسالة غير مبال بالقرآن والسنّة وإجماع الأمة، ففي هذه الأصول الثلاثة حجج على أن المصطفى ـ صلوات الله عليه ـ هو آخر النبيين والمرسلين.

أما القرآن، ففي قوله تعالى:

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

فعلى قراءة (خاتم) بكسر التاء، يكون وصفاً له ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأنه ختم الأنبياء؛ أي: لا ينال أحد بعده مقام النبوة، فمن ادعاها، فقد ادعى ما ليس له به من سلطان. وقراءة (خاتم) بفتح التاء ترجع إلى هذا المعنى؛ فإن الخاتم ـ بالفتح ـ كالخاتم ـ بالكسر ـ يستعمل بمعنى: الآخر، ذكر هذا علماء اللغة، وجرى عليه المفسرون المحققون، وجاءت السنة الصحيحة مبينة لهذا المعنى، ففي «صحيح الإمام البخاري» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: أنه قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي، خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي».

وفي «صحيح البخاري» عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلاّ وضعت

---

(١) «البشارة الإسلامية الأحمدية».

هذه اللبنة»، قال: «فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين». وفي رواية مسلم عن جابر ﷺ: «فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء». وروى الإمام أحمد بسنده إلى أبي الطفيل: أن رسول الله ﷺ قال: «لا نبوة بعدي إلا المبشرات»، قيل: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: «الرؤيا الحسنة ـ أو قال ـ الرؤيا الصالحة». إلى غير هذا من الأحاديث وآثار الصحابة الصريحة في أن النبوة انتهت بنبوته ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وعلى هذا انعقد إجماع المسلمين، وأصبح بمنزلة المعلوم من الدين بالضرورة.

قال الإمام ابن كثير عند تفسير: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠]: «وقد أخبر الله تعالى في كتابه، ورسوله في السنة المتواترة عنه: أنه لا نبي بعده؛ ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده، فهو كذّاب أفاك دجال مضل». وقال الألوسي في «تفسيره»: «وكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب، وصدعت به السنّة، وأجمعت عليه الأمة. فيكفر مدّعي خلافه».

وما كان لمسلم أن يؤول القرآن والسنّة الصحيحة تأويل من لا ينصح لله ورسوله ليجيب داعية هوى في نفسه، وانظروا إلى غلام أحمد وطائفته كيف تخبطوا في تأويل: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، وما يبينها من الأحاديث المحكمة، ولا داعي لهم إلى هذا التخبط، إلا أن رجلاً من «قاديان» استحب الهوى على الهدى، فادعى أنه نبي مرسل، وملأ فمه باللغو وقول الزور، والتملق لغير المسلمين.

ومن وجوه تأويله حمله لحديث: «لا نبي بعدي» على معنى أنه لا يأتي بعده نبي من غير أمته.

وهذا الوجه اختلسه من متنبئ آخر يقال له: إسحاق الأخرس ظهر في

أيام السفّاح؛ فإنه زعم أن ملكين جاءاه وبشراه بالنبوة، فقال لهما: وكيف ذلك وقد أخبر الله تعالى عن سيدنا محمد أنه خاتم النبيين؟ فقالا له: صدقت، ولكن الله أراد بذلك أنه خاتم النبيين الذين هم على غير ملته وشريعته.

وليس الوحي عند هذه الطائفة بمقصور على زعيم نحلتهم، بل يدَّعون أن أتباعه أيضاً ينزل عليهم الوحي، ومما رأيناه في منشور وضعه رئيسهم لهذا العهد، وترجمه عبد المجيد كامل، وطبع في مصر: «أن طريق الوحي لا يمكن أن يسد في وجوه الناس»، وفي هذا المنشور: «أن المهدي والمسيح قد ظهر في الهند بمحل يقال له: «قاديان»، وأنه يوجد الآن آلاف من حواريه يستمعون الوحي الإلهي».

ومما زعم غلام أحمد أنه أوحي به إليه: «وإني جاعلك للناس إماماً ينصرك رجال نوحي إليهم».

بأي لسان يدّعون الوحي، وهذه مقالات غلام أحمد ورسائله طافحة بأقوال منقطعة عن الحكمة، عارية عن الصدق، والمعقول منها قد قاله أناس، أو قالوا مثله، أو خيراً منه، ولم يخطر على بالهم ادعاء أنه وحي كلمهم به الله تعالى، أو نزل عليهم به الروح الأمين! ومن خطله المكشوف: أنه يأتي إلى آيات أو جمل من القرآن المجيد، فينقلها كما هي، ويضم بعضها إلى بعض في صحائف، ويزعم أنها وحي نزل عليه.

ينكرون أن النبي ﷺ خاتم النبيين، ويوردون على هذا شبهاً لا تزن عند أولي العلم جناح بعوضة، كما استدلوا بقوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥].

متشبثين بأن قوله: ﴿يَصۡطَفِي﴾ فعل مضارع، والمضارع للاستقبال.

ودفعُ هذه الشبهة أن الفعل الواقع في الماضي قد يعبر عنه بصيغة المضارع لمقتضيات بلاغية، منها: أن يكون المعنى موضع غرابة؛ فإن المضارع من جهة دلالته على الحال يتوسل به المتكلم البليغ إلى إخراج الحادث الغريب في صورة الواقع في الحال؛ ليبلغ تعجب المخاطب من وقوعه مبلغ تعجبه من الصورة البديعة في حال مشاهدتها. وعلى هذا الوجه ورد قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[آل عمران: ٥٩].

قال: ﴿فَيَكُونُ﴾، والموضع في الظاهر للماضي؛ لأن وجود إنسان من غير أب حادث غريب، فحاله يقتضي أن يعبر عنه بالمضارع؛ لإحضاره في ذهن المخاطب حتى كأنه مشاهد له.

ومن دواعي التعبير عن الماضي بصيغة المضارع: الإشارة إلى استمرار الفعل وتجدده فيما مضى حيناً بعد حين؛ فإن الاستمرار التجددي يستفاد من المضارع على ما جرى عليه استعمال البلغاء، وصيغة الماضي لا تعرج على هذا المعنى. فالتعبير بصيغة المضارع في قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[الحج: ٧٥].

يدل على معنى زائد على أصل الاصطفاء الذي يدل عليه الماضي، ويقف عنده.

وذلك المعنى هو أن اصطفاء الرسل كان يتجدد، ويقع مرة بعد أخرى، والقرينة الشاهدة بأن ﴿يَصْطَفِى﴾ مراد منه الاصطفاء الواقع قبل نزول هذه الآية هي آية: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠]، والأحاديث المستفيضة في إغلاق باب الرسالة والنبوة.

فاستعمال المضارع موضع الماضي في كلام البلغاء خارج عن حد الإحصاء، وآيات الكتاب يفسر بعضها بعضاً، كما أن السنّة تبين الكتاب.

ويزعم غلام أحمد أنه رسول، وأنه هو المراد من الحديث الوارد في نزول ابن مريم حكماً عدلاً، وأخذ يمشي في تأويل ألفاظ الحديث على عوج، على أنه حاول في الخطبة الإلهامية صرف الناس عن العمل بالأحاديث النبوية، وحرّف كثيراً من آيات القرآن المجيد على زعم أنه نزلت لتخبر بظهوره، وتنوه بشأنه، منها قوله في آية:

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾[التحريم: ١٢]:

«هذه بشارة بأنه سيكون في هذه الأمة الإسلامية رجل في درجة مريم الصديقة، ثم ينفخ فيه روح عيسى، فإذا مريم يخرج منه عيسى؛ أي: أن الرجل ينتقل من صفاته المريمية إلى صفاته العيسوية، فكأنما كينونته المريمية أنتجت كينونته العيسوية، وبهذا المعنى يسمى ذلك الرجل: ابن مريم).

ولا نريد أن نكثر في هذا المقام من ذلك اللغو والهزل، إلا أن تدعو الحاجة إلى زيادة الكشف عن فضائح هذه النحلة من بعد.

بدا لغلام أحمد أن يدّعي النبوة والرسالة، وخشي خيبة دعوته حتى لدى العامة الذين يأبون الخروج من الإسلام إلى نحلة تعلن أنها ناسخة له، فادّعى أن رسالته مؤيدة للإسلام، لا ناسخة لشـريعته، فقال في الخطبة الإلهامية: «أم يقولون: إنا لا نرى ضرورة مسيح ولا مهدي، وكفانا القرآن، وأنا مهتدون، ويعلمون أن القرآن لا يمسه إلا المطهرون، فاشتدت الحاجة إلى مفسر زكي من أيدي الله، وأدخل في الذين يبصرون».

قال هذا ليتألف الغافلين، ولما كانت في نفسه حاجات يريد قضاءها، وعرف أن هذه الحاجات ينبذها الكتاب والسنّة، حاول إسقاط السنّة من أصول الشريعة، وفتح بعد هذا لتأويل القرآن باباً من صنف الأبواب التي فتحها الباطنية من قبله، فأصبح في غنى عن ادعاء أنه جاء بشريعة مستقلة؛ إذ له أن يقرر هو وأتباعه ما تدعوهم إليه أهواؤهم، فإن قيل لهم: هذا يخالف نص الشارع الحكيم، أنكروا صحة النص، أو دخلوا إلى تأويله من الباب الذي دخل منه الباطنية وهم يمكرون.

*** زعمه أن له آيات على صدقه:**

قال غلام أحمد في الخطبة الإلهامية: «وإن تعدوا دلائل صدقي، لا تحصوها»، ولم نقف على شيء من هذه الدلائل إلا ما يشابه براءته من قضايا القذف التي كانت تقام عليه، أو نجاته من أذى العامة حيث يكون محاطاً بالشرطي، محروساً من الحكومة بقوة الحديد، وأراد أن يجعل دليل صدقه رواج دعوته عند طائفة الغافلين عن سبيل الحق، فقال في الخطبة الإلهامية: «ولو كان هذا الأمر والشأن من عند غير الله، لمزق كل ممزق، ولجمع علينا لعنة الأرض والسماء، ولأفاز الله أعدائي بكل ما يريدون».

وقد لقي كثير من الدعاوى المزورة مثلما لقيت دعوته أفراداً ضربت في نفوسهم الجهالة، فلا يقدرون مقام النبوة والرسالة، ولا يفرقون بين من يدعيها حقاً، ومن يدعيها وهو لا يرجو لله وقاراً، ولو كان رواج الآراء بين طائفة من البشر دليلاً على أنها حق، لكانت البهائية من المذاهب الرشيدة، والقاديانيون يعدونها كما يعدها المسلمون نحلة غاوية. وإن للباطل لصولة، حتى إذا أخذ أهل العلم بيد الحق، وأحكموا أساليب الدفاع عنه، تضاءل الباطل،

فإما أن ينقطع أثره، وإما أن يبقى شعار فئة كان لله في إيثارها الظلام على النور حكمة بالغة.

يذكر غلام أحمد في مؤلفاته: المباهلة، ويزعم أنها تجري بينه وبين بعض المنكرين عليه، فيكون الظفر له، ولسوء حظه سلك هذه الطريقة مع الأستاذ أبي الوفاء ثناء الله، فخسرت مباهلته، وتركها آية تنادي بخذلانه، ولكن بعض المكبين على الباطل في صمم، فهم لا يسمعون.

ضاقت الأرض على غلام أحمد عندما نهض الأستاذ العلامة مولوي ثناء الله لإبطال نحلته، ورمى بالحجج الدامغة، فكتب غلام أحمد دعاء طويلاً خاطب فيه الشيخ ثناء الله. وهذا هو:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣]

حضرة المولوي ثناء الله. السلام على من اتبع الهدى، إن سلسلة تكذيبي جارية في جريدتكم «أهل الحديث» من مدة طويلة، أنتم تشهدون فيها أني كاذب دجال مفسد مغتر، ودعواي للمسيحية الموعودة كذب وافتراء على الله، إني أوذيت فيكم إيذاء، وصبرت عليه صبراً جميلاً، لكن لما كنت مأموراً بتبليغ الحق من الله، وأنتم تصدون الناس عني، فأنا أدعو الله قائلاً: يا مالكي البصير القدير العليم الخبير! تعلم ما في نفسي، إن كان دعواي للمسيحية الموعودة افتراء مني، وأنا في نظرك مفسد كذاب، والافتراء في الليل والنهار شغلي، فيا مالكي! أنا أدعوك بالتضرع والإلحاح أن تميتني قبل المولوي ثناء الله، واجعله وجماعته مسرورين بموتي، يا مرسلي! أدعوك آخذاً بحظيرة القدس لك أن تفصل بيني وبين المولوي ثناء الله: أنه من كان مفسداً في

نظـرك، كاذباً عندك، فتوفه قبـل الصـادق منا، ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾[الأعراف: ٨٩].

الراقم عبدالله الصمد
مرزا غلام أحمد المسيح الموعود
عافاه الله وأيد عزّه
ربيع الأول ١٣٢٥

وصدر هذا الدعاء في أول يوم من ربيع الأول ١٣٢٥ (١٥ أبريل ١٩٠٧)، وقد مات غلام أحمد بعد هذا الدعاء بنحو سنة، أما الأستاذ ثناء الله، فهو ما زال يتمتع بالسلامة لهذا العهد، وما زال يعمل للذود عن الدين الحنيف، والكشف عن فضائح تلك النحلة المزورة.

يعلم غلام أحمـد أن يده فارغـة مما يصلح أن يكون دليلاً أو شـبه دليل على نبوته، فانتهز ظهور الطاعون بالبنجاب فرصة لاصطياد الغافلين المستضعفين، فزعم أنه أوحي إليه بأن هذا الطاعون ينجو منه من يؤمنون به بقلب خالص، أو يكفون في الأقل عن تكذيبه وذمه، ويحملون له في قلوبهم تعظيماً(١)، قال هذا ليستهوي الأغبياء الذين شأنهم الانقياد إلى من يعدهم بالنجاة من كل بلاء هو نازل بهم، وإن لم يعدهم إلا غروراً.

*** غروره وتفضيله نفسه على بعض رسل الله الأكرمين:**

ملك غـلام أحمد الغرور والتعاظم، فانهال يحثو لنفسـه من الإطراء ما شاء، ومما أورده في كتاب الاستفتاء على أنه خطاب له من الله تعالى: «أنت

---

(١) من مقال له نشر في كتاب «تعاليم المسيح الموعود».

مني بمنزلة توحيدي وتفريدي، أنت مني بمنزلة عرشي، أنت مني بمنزلة ولدي». وقال في مقال له ورد في كتاب «أحمد رسول العالم الموعود»: «فالواقع أن الله القدير قد أبلغني أن مسيح السلالة الإسلامية أعظم من مسيح السلالة الموسوية»، ويعني بمسيح السلالة الإسلامية: نفسه، فغلام أحمد يزعم أنه أفضل من عيسى ـ عليه السلام ـ. ومما ادعى أن الله خاطبه به: «إني خلقتك من جوهر عيسى، وإنك وعيسى من جوهر واحد، وكشيء واحد[1]».

ووقع في يدي كتاب لغلام أحمد نقله أحد أتباعه إلى العربية، فوجدته قد تحدث فيه عن الوحي، ثم ذكر مقاماً: «يشافه الله فيه العبد بالكلام، وينطق في باطنه، ويتخذ من جنانه عرشه، ويعطيه كل نعمة مما كان قد أعطاها الأولين». ثم قال: «إنني لأكون قد ظلمت بني نوعي إن لم أعلن لهم في هذه الساعة أنني على ذلك المقام الروحي الذي وصفته هذا الوصف، وأن الله قد أعطاني من المكالمة المرتبة التي ذكرتها بالتفصيل».

وذكر الشيخ ثناء الله جملاً صدرت من غلام أحمد مأخوذة من كتبه، وله مؤلفات بالأوردية والفارسية، ومن هذه الجمل قوله: «اتركوا ذكر ابن مريم؛ فإن غلام أحمد خير منه». ومنها قوله: «ما أعطاه الله لكل نبي واحداً واحداً أعطاه لي جميعاً». ومنها قوله: «قال الله: إنّ أمْرَكَ إذا أردت شيئاً أن تقول له: كن فيكون». ومؤلفاته مملوءة بمثل هذه الجمل الطاغية.

*** تكفيره لمن لا يؤمنون برسالته:**

يجعل غلام أحمد المسلمين الذين لا يقبلون دعوته كفاراً، ويمثلهم

---

(١) «حمامة البشرى».

في كتبه باليهود، ومما قال في الخطبة الإلهامية: «فإن نبينا المصطفى كان مثيل موسى. وكانت سلسلة خلافة الإسلام كمثل سلسلة خلافة الكليم ـ عليه من الله السلام، فوجب من ضرورة هذه المقابلة والمماثلة أن يظهر في آخر هذه السلسلة مسيح كمسيح السلسلة الموسوية؛ ويهود كاليهود الذين كفروا عيسى وكذبوه». وكرر هذا المعنى، وهو تمثيل نفسه بعيسى ـ عليه السلام ـ، وتمثيل المسلمين الذين ازدروا دعوته باليهود في كتبه كثيراً.

وفي نشرتهم «شرائط الدخول في الأحمدية» التصريح بأن المسلمين الذين يكذبون غلام أحمد أحط درجة من المنافقين. وفي نص عبارتهم: «وكذلك لا يجوز لأحمدي أن يصلي على غير أحمدي. فكأنه بفعله يشفع إلى الله لمن أصر على مخالفة المسيح وإنكاره، ومات عليه. مع أن الله يمنع أن يصلى على المنافقين. فكيف على من كفر بمأمور من الله؟». وقد يصف غلام أحمد المسلمين بأنهم أعداء لأهل مذهبه؛ كما قال في مقال[1] يخاطب فيه أتباعه: «فاذكروا دائماً أن الحكومة الإنكليزية هي رحمة وبركة لكم. فهي الدرع التي تقيكم. إن الإنكليز خير ألف مرة من المسلمين الذين هم أعداؤكم»!.

وعلم غلام أحمد أن علماء الإسلام هم الذين يعرفون سريرته. ويحذرون الناس من فتنته، فكان يكثر من قذفهم، ويحثّ أتباعه على بغضهم، قال في مقال له نشر في كتاب «تعاليم المسيح المنتظر»: «ونصيحتي لجميع أتباعي أن يبغضوا المولوية ـ علماء المسلمين ـ الذين يريقون الدم الإنساني تحت ستار الدين، ويأتون من الآثام أسوأها وراء حجاب التقوى، وعلى

---

(١) ورد هذا المقال في كتاب لهم يسمى: «أحمد رسول العالم الموعود».

أتباعي أن يقدروا هذه الحكومة الإنكليزية، ويظهروا لها شكرهم واعترافهم بالجميل، بالولاء وحسن الطاعة».

ويرى (رسول آخر الزمان) غلام أحمد بعده من المسلمين نعمة تستحق الشكر. كتب الدكتور زكي كرام من «برلين» إلى جريدة «حضرموت» بجاوة مقالاً تحدث فيه عن القاديانية في برلين، ونشرته في العدد الصادر يوم السبت ٨ المحرم سنة ١٣٥١، ومما قال في هذا المقال: إنه زار هو والأمير شكيب أرسلان إمام الجامع الذي بنته هذه الطائفة ببرلين. فأطلعهم الإمام على كتاب لغلام أحمد نفسه، فنقل منه الأمير جملاً، ومن هذه الجمل: أنه ـ أي: غلام أحمد ـ «يحمد الله حيث ولد تحت راية إنكليزية وبعيداً من المسلمين»!.

*** القاديانية فرقتان:**

كانت القاديانية في أيام غلام أحمد وأيام خليفته نور الدين مذهباً واحداً؛ غير أنهم في آخر حياة نور الدين ابتدأ شيء من الاختلاف يدبّ فيما بينهم، وعندما مات نور الدين، انقسموا إلى شعبتين: شعبة «قاديان»، ورئيس هذه الشعبة محمود بن غلام أحمد، وشعبة «لاهور»، وزعيمها محمد علي مترجم القرآن إلى اللغة الإنكليزية. أما شعبة قاديان، فأساس عقيدتها أن غلام أحمد نبي مرسل، وأما شعبة «لاهور»، فظاهر مذهبها: أنها لا تثبت النبوة لغلام أحمد، ولكن كتب غلام أحمد مملوءة بادعاء النبوة والرسالة، فماذا يصنعون؟.

ولشعبة «لاهور» ضلالة يبثونها في كتبهم: هي إنكار أن يكون المسيح ـ عليه السلام ـ ولد من غير أب؛ وزعيم هذه الشعبة محمد علي يصرح بأن

عيسى ـ عليه السلام ـ ابن يوسف النجار. ويحاول تحريف بعض الآيات لتوافق هذه العقيدة(١).

ونشرت مجلتهم «المجلة الإسلامية» التي تصدر في «ووكنج» بإنكلترة مقالاً للدكتور (مركوس)، وفي هذا المقال: «أن محمداً ـ عليه السلام ـ يصرح بأن يوسف أبو عيسى ـ عليه السلام ـ»، ولم يعلقوا على هذه الجملة كلمة؛ لأنها جاءت على وفق نحلتهم.

وكذلك كان محمد علي في ترجمته للقرآن يذهب مذهب الترجمة الحرفية، ثم يضع في أسفل الصحيفة حواشي يؤول فيها ما ترجمه حرفياً، ويرتكب في تأويلها وجوهاً يحذو بها حذو نحلتهم؛ كما فعل في قوله تعالى:

﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: ٤٩].

فقد نحا في تأويلها نحو منكري المعجزات؛ وتصرف في معانيها تصرف من لا يدري أن القرآن قد نزل بلسان عربي مبين.

*** وجوب مقاومتهم، والتحذير من دعايتهم:**

للقاديانية حركة نشيطة في الدعوة إلى نحلتهم، ولما كانوا يقيمون هذه النحلة على شيء من تعاليم الإسلام، أمكنهم أن يدّعوا أنهم دعاة للإسلام، ولاسيما شعبة «لاهور» التي تعلن أن غلام أحمد مصلح ومجدد لا نبي، وقد أصبح الناس الذين لا يعرفون هذه النحلة يعتقدون أنهم دعاة للإسلام

---

(١) انظر كتابه: «عيسى ومحمد» (ص ٧٦).

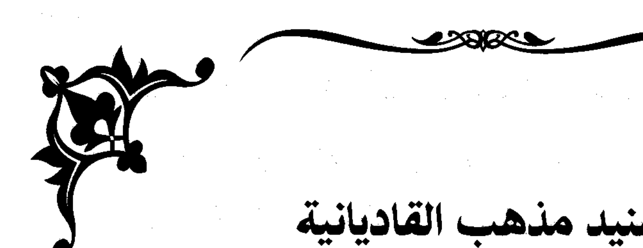
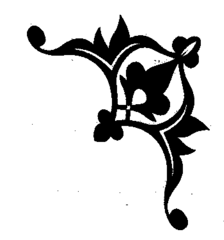
بحق، وربما أثنوا على سعيهم، وعاتبوا من يكتب في تحذير المسلمين من أباطيلهم. ولو اقتصرت هذه الطائفة على نشر دعوتها بين قوم غير مسلمين، لخفّ علينا خطرها، وآثرنا الاشتغال بمجاهدة غيرها من المضللين والملحدين، ولكنهم طمعوا في أخذ الشعوب التي تدرس القرآن والسنّة، وتستضيء بهدايتهما، وراموا صرفها إلى الاعتقاد برسالة غلام أحمد وما يتبعها من ضلالات، فبعثوا بدعاتهم إلى سورية وفلسطين ومصر، وجدة والعراق، وغيرها من البلاد الإسلامية، وقد وجدت دعايتهم ـ على ما فيها من سخف ـ أحداثاً فرط أولياؤهم في تربيتهم على أدب الدين، فقبلوها غروراً.

يذكر القاديانيون: أن لهم دعاة في الصين والهند، والعجم والعراق، وجدة وسورية وفلسطين ومصر، وقرأنا في كتاب لهم مطبوع سنة ١٩٣٢: أن داعيتهم في مصر الشيخ محمود أحمد في شارع كذا، وقد رأيتم علماء الهند كيف قاوموا هذه الفئة، وما زالوا يقاومونها، وممن وصلتنا آثارهم في مقاومتها: علماء سورية، فقد كتبوا الرسائل في الرد عليها، وإيقاظ المسلمين لما يبثونه من آراء تقوض بناء العقيدة، وآراء تربي نفوس النشء على الرضا بالاستكانة والانقياد لكل يد تقبض على زمامهم انقياد الأعمى.

وها نحن أولاء قد كتبنا هذا المقال؛ ليحذر مسلمو مصر وغيرها من الأقطار الإسلامية فتنة هذه الطائفة حذرَهم من فتنة الطائفة البهائية، ولنا الأمل في علمائنا ووعاظنا أن يقعدوا لدعاة هاتين الطائفتين كل مرصد، ويعالجوا كل قلب اعتل بشيء من وساوسهما:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩].



تفنيد مذهب القاديانية

كتبنا في الجزء السابع من المجلد الثالث من «نور الإسلام»[1] مقالاً في نشأة النحلة القاديانية، وأوردنا فيه شيئاً من نزعات هذه النحلة الفاسدة، وأرينا القراء أنها نحلة مارقة من الدين، عاملة على تفويض أركانه تحت ستار اسم الدعوة إليه.

كتبنا ذلك المقال لنفتح أعين جماعات المسلمين على جانب مما يبيته غلام أحمد وأتباعه من شر، حتى لا يغتر أحد بما يزخرفونه من قول، أو بما يخلعونه على أنفسهم من ألقاب زائفة.

وقد عنيت بنشر هذا المقال صحف متعددة، وكان له ـ بتوفيق الله تعالى ـ أثر في إيقاظ من كانوا عن هذه النحلة في غفلة، حتى تبرأ منها فريق كانوا يحسبونها على شيء من الرشد، ونبذوها نبذ النواة. أما من جعل الله صدورهم ضيقة حرجة، فقد استغاثوا داعيتهم بفلسطين لعلهم يجدون عنده من قوة الجدل ما يذود عن ترهاتهم، ويستر فضائحهم، فكتب مقالاً شغل به صفحات كثيرة من أوراق يصدرونها لترويج مزاعمهم في البلاد العربية، ولم يزد في هذا المقال على أن اعترف ببعض ما عزوناه إلى نحلتهم من زيغ وإلحاد، وذهب ببعضه مذهب التأويل المنبوذ على البداهة، وقابل بعضه بالإنكار،

---

(١) سورة العنكبوت ـ الآية ٦٩.

على الرغم من أنه وارد في كتب كبيرهم الذي علمهم اشتراء الدنيا بالآخرة، أو في كتب بعض زعمائهم الذين يرونهم بمقربة من النبوة. وخيلت له نفسه أنه يعرف من بلاغة اللسان العربي ما يقوى به على الخوض في تفسير القرآن الكريم، وشرح حديث رسول الله ﷺ، فتخبط في مباحث لا يدري كيف يرِدُها، ولا كيف يصدر عنها.

وها نحن أولاء نرفع الستار عن جانب آخر من تزوير غلام أحمد، ونأتي إلى مقال داعيتهم، فنعرض على حضرات القراء قطعاً من زوره وقلة درايته؛ ليزدادوا علماً بأن القاديانية نحلة ملفقة من مزاعم لا تتصل بعقول هيأها الله تعالى للهداية، ولا تروج في نفوس أخذت من التعليم أو التهذيب ما فيه كفاية.

ابتدأ داعية القاديانية بمقدمة ساق فيها آيات نزلت في حق أنبياء الله الأكرمين، ومن يجحد نبوتهم من المبطلين، محاولاً تطبيقها على حال غلام أحمد، ومن يحذرون الناس من ضلاله المبين، ولا نعبأ بهذا التمثيل الفاسد؛ فإن ما كتبناه في نشأة نحلتهم، وما ضربناه من الأمثال على بهتان رئيسهم، يرد تلك المقدمة على عقبها خاسئة، ويحقق للقراء أن موقفنا في وجه غلام أحمد وأتباعه إنما هو موقف حزب الله في وجه مسيلمة وسجاح، وأمثالهما ممن يفترون على الله الكذب، ويدعون أنه يوحى إليهم، ولم يوح إليهم بشيء.

* خيبة مدعي النبوة:

قلنا في مقالنا السابق: إن مدعي النبوة قد يذهب فينقطع أثره، وقد يبقى لدعوته بين طائفة من الجاهلين أثر، فاندفع داعية القاديانية بعد هذا

مخالفاً للنصوص القرآنية، ويزعم أن كل من يدعي النبوة لا يمهله الله تعالى سنين دون أن يبيده، ولا تروج دعوته، ولو عند طائفة لا يكادون يفقهون حديثاً، وأخذ يسرد آيات من القرآن يضعها في غير مواضعها، ويضيف إليها من المعاني ما لا يصح أن يستنبط منها، فأورد قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾[يونس: ٦٩].

وقوله تعالى:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[يونس: ١٧].

وقوله تعالى:

﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾[هود: ٣٥].

وقوله تعالى:

﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾[غافر: ٢٨].

وقوله تعالى:

﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾[طه: ٦١].

وقوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾[الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦].

أورد داعية القاديانية هذه الآيات، وبنى عليها أن غلام أحمد ادعى النبوة، وبقي نحو ثلاثين سنة، ولم يأخذ الله منه باليمين، ولم يقطع منه الوتين، وأفلح في دعوته، فدعواه الوحي والنبوة إذن صادقة.

والواقع أن هذا الداعية لا يفهم لآيات الله معنى، ولا يعرف لسنن الله

في الخليقة حكمة، يدلنا القرآن والمشاهدة على أن الله تعالى قد يملي لبعض المبطلين، فيمد لهم في أعمارهم، أو يكثر أموالهم وأولادهم، أو يجعل لهم من صنف الجاهلين شيعة، ثم يأخذهم بعد هذا أخذ عزيز مقتدر، قال الله تعالى:

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤ ـ ٤٥]

وقال تعالى:

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

ومما يدل على أن بعض المضلين قد يجد في الناس من يتبعون خطواته، ويهيمون في واد من ضلالاته، فتحق عليهم كلمة العذاب التي حقت على من قبلهم، قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧ ـ ٦٨].

وقوله تعالى:

﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]

فبقاء بعض المضلين أمداً يعيثون فيه مفسدين، ويأخذون فيه بأعنة بعض الغافلين أو المغفلين، لا ينقض سنّة من السنن الكونية، ولا يخالف نصاً من النصوص الشرعية، وقد وافق داعية القاديانية على أن مدعي الإلهية قد ينتشر مذهبه في طائفة من الناس، ويترك من بعده أتباعاً، وجعل طائفة البهائية

من هذا القبيل، ويحصر سرعة الإهلاك وعدم انتشار الدعوة فيمن يدعي الوحي والنبوة، وقال في الفرق بين مدعي النبوة ومدعي الإلهية: إنّ نشر دعوة النبوة آية من آيات الله، ولا يعطى مفتر هذه الآية لئلا يلتبس أمر النبي بالمتنبي، أما مدعي الإلهية؛ فإنه يدعي أمراً مستحيلاً، فليس هناك موضع التباس.

وكلامه هذا يقتضي أن الله تعالى يهلك المفتري إذا كانت دعواة محتملة للصدق؛ لئلا يلتبس على الناس أمره، أما إذا قامت الأدلة الكافية على بطلان دعواه، فإنه يجوز إمهاله، وانتشار دعواه في طائفة من الناس.

وإذا كان داعية القاديانية يعترف بأن المضلل الذي تقوم الأدلة على افترائه قد تتأخر عقوبته إذ يلتبس المبطل بالحق، قلنا له: إن الأدلة القائمة على انقطاع النبوة بعد محمد ﷺ قاطعة، فقد تظافر على ذلك الكتاب والسنّة المتواترة والإجماع، فيجوز أن يكون تأخير إهلاك غلام أحمد، وترك أباطيله تنتشر بين طائفة من الناس، من ناحية أن الأدلة القائمة على بطلان دعواه الوحي والنبوة قاطعة، وليس بينها وبين إزهاق روح تلك النحلة المارقة إلا أن يتناولها أهل العلم بالبيان، ويطاردوا بها دعاة القاديانية في كل زمان ومكان.

فإن قال داعية القاديانية: لو كانت الأدلة على انقطاع النبوة قاطعة، لم يخالف فيها غلام أحمد ومن انحدروا في ضلالته، قلنا: إنكم سلمتم أن الأدلة القائمة على افتراء رئيس البهائية قاطعة، وقد عمي طائفة البهائية عن هذه الأدلة، وليسوا بأوفر في الغباوة منكم نصيباً، ولا أحط منكم في الجهالة دركاً، ولا أشد منكم في اشتراء الدنيا بالدين تهالكاً.

فدعوى النبوة بعد رسول الله ﷺ معلومة البطلان من الدين بالضرورة،

فمن ادعاها لا يشتبه حاله بحال المحق البتة، فمن الجائز إذن أن يمهله الله تعالى كما يمهل مدعي الإلهية، ثم يسحته بعذاب في الدنيا أو الآخرة.

ولنعـد إلى بيان تخبطـه في الآيـات التي سـاقها على أن مدعي النبوة يعجل الله بعقوبته، ويمنع من انتشار دعوته فنقول:

أما قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾[يونس: ٦٩].

وقوله تعالى:

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾[يونس: ١٧].

فإنما يدلان على أن المفتري على الله تعالى لا يفلح، وليس معنى عدم الفلاح بمقصور على إهلاكه بسرعة، وخيبة دعوته بحيث لا تجد سامعاً ـ ولو من الطبقة التي هي أقرب إلى الحيوان الأعجم منها إلى الإنسان ـ، بل يكفي في تحقيق عدم الفلاح: فوز أنصار الحق عليه في الدنيا، والتحاقه بزمرة الأشقياء في الأخرى.

ثم إن عدم الفلاح قد جعل في الآية الثانية مما يترتب على التكذيب بآيات الله، أفيبلغ الخلط في الحديث بهذا الداعية أن يدعي أن كل من يكذب بآيات الله بعجل الله بإهلاكه في الدنيا؟!.

وأما قوله تعالى:

﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ﴾[غافر: ٢٨].

وقوله تعالى:

﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٍۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾[طه: ٦١].

فإن هاتين الآيتين لا تدلان على أكثر من أن الذي يكذب على الله تعالى يصيبه جزاء كذبه في الدنيا أو في الآخرة، ويجازى مع ذلك بالخيبة والحرمان من بلوغ المقصود والظهور على حماة الحق.

وقد أجرى الله تعالى على لسان غلام أحمد ما دل على سخافة عقله، وفساد سريرته، وألقى به في خذلان حال بينه وبين الفلاح في الدنيا، وما بعد الموت أشد وأبقى.

على أن الآية الثانية لم تقع خطاباً لنبي، وإنما هي من قول موسى ـ عليه السلام ـ خطاباً لقوم فرعون، وليس فيها ما يدل على أن الله تعالى يسرع بإهلاك مدعي النبوة كذباً، ويصرف عنه حتى القلوب التي تقضي فيها الشياطين ليلها ونهارها، وغاية ما تدل عليه: أن المفتري على الله يخيب في دعوته، ويصيبه جزاء فريته. وإن دعوة لا تروج إلا عند نفر لا يفرقون، أو لا يريدون أن يفرقوا بين الليل إذ يغشى، والنهار إذا تجلى، لدعوة خاسرة.

وأما قوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦].

فليس المراد منه تقرير أن الله يعجل بإهلاك كل من يدعي النبوة كذباً، ويقطعه عن الحياة لأول ما يدعي النبوة، حتى إذا ادعى أحد السخفاء النبوة، وعبث بعقول طائفة من البله، أو اشترى نفوس طائفة من البؤساء، وعاش نحو ثلاثين سنة، قلنا: هذا صادق في دعوى النبوة! وإنما نزلت هذه الآية في حق محمد ﷺ، وقد حفه الله تعالى بدلائل الصدق من كل جانب؛ بحيث لا يجد ذو الفطرة السليمة أو العقل الراجح إلى تكذيبه فيما يخبر به عن الله

تعالى منفذاً، فلو كان هذا الذي استقامت سيرته، وبهرت حكمته، وثبتت معجزته، قد تقوّل على الله تعالى بعض الأقاويل، لكان الضرر من تقوّله على الله تعالى عظيماً؛ إذ ليس في أيدي الناس ما من شأنه أن يدل على أن ما بلغه متقوَّل على الله، فكان من مقتضى الحكمة أن يأخذ الله منه باليمين، ثم ليقطع منه الوتين، أما من تقوم الأدلة الجلية على أنه كاذب؛ كغلام أحمد، فقد يملي له الله تعالى لحكم، منها: إظهار فضل العلماء الذين يجاهدون في إنقاذ الغافلين من مهالك دعوته الخاسرة.

هذا وقد ذكر الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى:

﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ﴾[الحاقة: ٤٥]:

أن المعنى: منعناه عن ذلك (أي: التقوّل) إما بإقامة الحجة؛ بأن كنا نقيض له من يعارضه في التقوّل، فيظهر للناس كذبه فيه، فيكون ذلك إبطالاً لدعواه، وهدماً لكلامه، وإما بأن نسلب منه القوة على التكلم بذلك القول.

ونحن نعلم أن الله تعالى قد نصب الأدلة على كذب غلام أحمد، وقيض له بعد ذلك طائفة من العلماء، فدفعوا باطله بالحجة، ونادوا في الناس بأنه مزمار من مزامير الشيطان، حتى ازداد كذبه وضوحاً، ودعوته خيبة، وسريرته افتضاحاً.

وقد أجرى الله على لسان غلام أحمد آيات تدل على أن ما يدعيه زور وبهتان، ومن هذه الآيات: أنه كان قد رغب في التزوج بفتاة من بنات بعض أقاربه، وسبق إلى ظنه أن والدها لا يحجم عن تزويجه إياها، فزعم أن اقترانه بها قد تقرر بطريق الوحي، ولكن أهل الفتاة امتنعوا من تزويجه إياها، وعزموا على أن يزوجوها برجل غيره، فلما بلغه هذا العزم، زعم أنه أوحي إليه مرة

أخرى: أن من يتزوجها غيره يموت في مدة لا تتجاوز ثلاث سنين، ثم تصير الفتاة زوجاً له، ولكن أهل الفتاة موقنون بأن غلام أحمد غير صادق فيما يزعم، فزوجوا ابنتهم من رجل مسلم يدعى: (ميرزا محمد سلطان)، ودامت العشرة بين الزوجين، واستمرا في حياة، وقد مات القادياني في ٢٦ من مايو سنة ١٩٠٨، وبقي محمد سلطان يعيش مع زوجته عيشة راضية إلى ما بعد سنة ١٩٢٠.

ووقع غلام أحمد في بهتان آخر؛ إذ زعم في تأليفه المسمى: «إعجاز أحمد»: أن من علامات صدقه سير القطار بين الحرمين الشريفين، فقال: شهدت السماء والأرض على صدقي، ولكن أكثر الناس لم يقبلوني، أنا الذي عطلت الإبل، وصدق الخبر الغيبي: ﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ﴾[التكوير: ٤] في وقته، وأيضاً صدق الحديث: «ليتركن القلاص، فلا يمشي عليها أحد»، حتى إن منشئي جرائد العرب والعجم كتبوا في جرائدهم: أن القطار الذي يجري بين مكة والمدينة من علامات المسيح الموعود.

بقول هذا، وهو لم يدخل الحرمين الشريفين، ولو لأداء فريضة الحج، والإبل لم تعطل في وقته، والقطار لم يسر بين مكة والمدينة في وقته، بل إلى هذا اليوم.

*** انقطاع النبوة بعد رسول الله ﷺ:**

لنا أن نكتفي بسوق الشواهد على أن غلام أحمد بعيد من النبوة والصلاح بعد الثرى من الثريا. ولنا أن نكتفي من هذه الشواهد ببعض أقوال صدرت منه، فجاءت تضرب لسخافة الرأي وظلمة القلب أوضح مثال. ولسنا بعد هذا في حاجة إلى محاورة أتباعه في أن النبوة بعد النبي ﷺ منقطعة أم باقية؛ إذ على

فرض بقائها لا يتصور ذو عقل أن يكون من مظاهرها رجل يقول ما لم يقع، وما لا يقع. وكيف يحوز النبوة من لا يتعفف عن الكذب على المخلوقين؟.

وإذا خرجنا في مجادلة القاديانية عن حديث نبوة رئيسهم المزيفة إلى بحث انقطاع النبوة من أصلها، فلأن هذه الطائفة لا تفتأ تشغل ألسنتها بدعوى أن النبوة لم تنقطع، فحق علينا تذكير المسلمين بأن دعواهم هذه لا تلتقي مع حقيقة الدين الحنيف في نفس واحدة.

أوردنا في المقال السابق نبذة من أدلة انقطاع النبوة بعد الرسول الأعظم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ومن هذه الأدلة قوله تعالى:

﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠].

وقلنا: إن الخاتم بمعنى: الآخِر، وهذا هو المعنى الذي يذكره علماء اللغة والتفسير لهذه الكلمة، ففي «لسان العرب»: وختام القوم وخاتِمهم وخاتَمهم: آخرهم، والخاتِم والخاتَم من أسماء النبي ﷺ، وفي التنزيل العزيز:

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠].

أي آخرهم. وأما التفسير، فلم نر مفسراً يذكر في بيان ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ معنى غير معنى الآخِر، ووردت الأحاديث مؤيدة لهذا المعنى، وسقنا منها في ذلك المقال جملة، وهي لا تقصر عن درجة المتواتر.

ومن الأحاديث الصريحة في هذا المعنى: ما رواه أنس بن مالك ﷺ، قال: قال ﷺ: «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي»، فشق ذلك على الناس، فقال: «ولكن المبشرات»، قالوا: يا رسول الله! وما المبشرات؟ قال: «رؤيا المسلم، وهي جزء من أجزاء النبوة».

ومنها: حديث عبدالله بن عمر، وهو: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً كالمودع، فقال: «أنا محمد النبي الأمي ـ ثلاثاً ـ ولا نبي بعدي».

ومنها: حديث أبي هريرة: «وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبوة»، إلى غير هذا من الأحاديث الصريحة الصحيحة المختلفة الأسانيد.

وبعد هذه الأحاديث إجماع الأمة على أن من ادعى النبوة بعد رسول الله، فهو من الضالين المضلين، قال الإمام ابن كثير في «تفسيره»: «قد أخبر الله تعالى في كتابه، ورسوله ﷺ في السنّة المتواترة عنه: أنه لا نبي بعده؛ ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده، فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل». وذكر بعض من ادعوا النبوة؛ كالأسود العنسي، ومسيلمة، ثم قال: «فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها». وقال الإمام ابن عطية في تفسير آية: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠]: هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفاً وسلفاً متلقاة على العموم التام، مقتضية نصاً أن لا نبي بعده ﷺ. وقال ابن حزم: «فكيف يستجيز مسلم أن يثبت بعده ـ عليه السلام ـ نبياً في الأرض، حاشا ما استثناه رسول الله ﷺ في الآثار المسندة الثابتة في نزول عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ في آخر الزمان».

وقال أبو حيان في تفسيره «البحر»: «ومن ذهب إلى أن النبوة مكتسبة لا تنقطع، أو إلى أن الولي أفضل من النبي، فهو زنديق».

*** دفع شبهة يتشبث بها القاديانية:**

أورد داعية القاديانية آيات من القرآن الحكيم زاعماً أنها تدل على عدم انقطاع النبوة، منها: ثلاث آيات وردت في إرسال الله الرسل، واصطفائه لهم،

وجاء التعبير فيها بصيغة المضارع، وهي قوله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾[الحج: ٧٥].

وقوله تعالى:

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ ﴾[آل عمران: ١٧٩].

وقوله تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي﴾[الأعراف: ٣٥].

فقال في الآية الأولى: إنها تقتضي استمرار الاصطفاء دائماً، وقال في الآية الثانية: إنها تدل على أن الله يجتبي من رسله من يشاء، وقال في الآية الثالثة: إنها صريحة في بيانها.

كنا قد تعرضنا في المقال السابق لهذا الوجه من تمويههم، وقصرنا البحث على آية:

﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾[الحج: ٧٥].

فقلنا: أما المضارع في قوله: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي﴾، فمحمول على الماضي، واختيار صيغة المضارع للدلالة على أن اصطفاء الله للرسل كان يتجدد حيناً فحيناً، فكتب داعية القاديانية منكراً استعمال المضارع في الاستمرار للماضي فقط، وهذا إنكار منه لمعنى قرره فحول علماء البلاغة؛ كصاحب «المفتاح»، والسيد الجرجاني، والسعد التفتازاني، ولم ينازعهم فيه أحد ممن ينظر في العلم بشيء من العقل.

فالحق أن المضارع يستعمل للدلالة على تجدد الفعل في الماضي، ولاسيما الفعل المتصل بزمان الخطاب؛ كاصطفاء الرسل وإتيانهم، فإن هذه الآيات قد نزلت والوحي الذي تتحقق به الرسالة لم يزل جارياً، والأحكام

التي تنتظم بها الشريعة ويكمل بها الدين ما زالت تنزل على حسب ما تقتضيه الحكمة، وليس استعمال المضارع للدلالة على التجدد في الماضي مختصاً بحال اقترانه بلفظ: «كان»، بل المدار على وجود قرينة تومئ إلى أنه مستعمل في هذا المعنى، ولا فرق بين أن تكون القرينة لفظية أو معنوية، متصلة باللفظ أو منفصلة عنه، وقد صرح طائفة من أئمة البلاغة بأن المضارع يستعمل في الماضي لقصد الدلالة على استمرار الفعل فيما مضى وقتاً فوقتاً. ومن الشواهد التي ساقوها على هذا قوله تعالى:

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾[الحجرات: ٧].

فقالوا: إن المضارع ـ يعني: قوله: ﴿يُطِيعُكُمۡ﴾ مستعمل في الماضي للدلالة على استمرار الإطاعة فيما مضى وقتاً فوقتاً، وكلمة: «لو» أفادت هذا الاستمرار التجددي الذي دل عليه المضارع.

فالبيانيون قرروا استعمال المضارع للدلالة على تجدد الفعل في الماضي، ولم يقصروه على موضع، بل جعلوا مدار صحته قيام القرينة، ولا نطيل في الاستدلال على أن المضارع يستعمل لإفادة التجدد في الماضي، إذ يكفي فيه إجماعهم على أن المضارع يستعمل للفعل الماضي خاصة، ومن ذا يستطيع أن ينكر أن المضارع في قوله تعالى:

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾[يوسف: ٣٦].

وقوله تعالى:

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا﴾[يوسف: ٣٦].

وقوله تعالى:

﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ﴾[البقرة: ١٢٧].

مستعمل في فعل مضى لوجه من البلاغة، وما على المعبر بالمضارع عن الفعل الماضي سوى أن يقيم الدليل على ما يريد من الصيغة، وقد قلنا في المقال السابق: إن الأدلة التي تدعونا إلى حمل الاصطفاء في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى﴾[الحج: ٧٥] على ما كان يتجدد في الماضي، قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠]، والأحاديث الصريحة في أن لا نبي بعد محمد ﷺ.

واعترض داعية القاديانية جعل آية ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ مبينة لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى﴾، فقال: كلنا يعرف أن قرينة الكلام ما يصاحبه ويدل على المراد به، وأن آية: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى﴾ مكية، وآية: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ مدنية.

وجواب هذا: أن تأخير آية ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ لا يمنع من أن تعد بياناً للمراد من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى﴾. أما على مذهب من يجيز تأخير البيان عن وقت الخطاب، فالأمر واضح؛ إذ مقتضاه أن يدل المضارع حال الخطاب على أن اصطفاء الرسل شأن من شؤون الخالق ـ جلّ وعلا ـ، فيسقط به اعتقاد من ينكر بعثة الرسل، أو ينكر أن يكون في البشر رسول، ويثبت أن الله تعالى قد بعث رسلاً من البشر، وأن محمداً ﷺ حين ادعى الرسالة لم يدع أمراً يخالف حكمة الخالق، ويبقى صرف اصطفاء الرسل عن المستقبل إلى أن تظهر الحاجة إلى تعليم الناس أن لا نبي بعد محمد ﷺ، وأما على مذهب من يمنع تأخير البيان عن الخطاب، فنعتمد أن يكون لدى من تلقوا آية: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى﴾ عند نزولها دليل من حديث رسول الله ﷺ يصرفها عن المستقبل، وجاءت آية: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ مؤيدة للحديث، وورود الآية بعد الحديث لا يمنع من عدها في جملة ما يبين الآية الأولى،

وما زال كبار الأئمة يسمّون المتأخر: بياناً لما سبقه بمدة، كما جعلوا إعطاء سلب القتيل للقاتل في الحرب مخصصاً لقوله تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾[الأنفال: ٤١].

وهذه الآية نزلت في غزوة بدر، والحديث ورد بعد هذه الغزوة بزمن غير قليل.

وقال داعية القاديانية يحاول رد ما ذكرنا من أن المضارع في آية: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي﴾[الحج: ٧٥] مصروف عن المستقبل: «إن الآيـة تبين اصطفاء الله رسلاً من الجنسين: الملائكة، والناس، فإن كان يصطفي بمعنى اصطفى، ويلزم منه أن لا يصطفي الله رسلاً بعد نزول هذه الآية من الناس، للزم أن لا يصطفي الله رسلاً من الملائكة أيضاً، وإذا كان هذا صحيحاً، فهل للمشايخ أن يقولوا لنا: من أنزل آية: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي﴾ إلخ وغيرها من السور التي نزلت بعدها على قلب الرسول ﷺ؟ أجبريل أم لا؟».

أليس في هذا الهذيان شاهد على أنا نخاطب من لا يفقه للكلام العربي معنى، ولا يعرف للمنطق وجهاً؟! فنحن إذا فهمنا الاصطفاء في الآية على ما كان يقع فيما مضى، فللأدلة القائمة على أن الله لا يبعث بعد محمد ﷺ رسولاً من البشر، ولم نقل: إن الآية دليل على أن الله لا يبعث رسولاً، حتى يقال: إننا نفينا إرسال الله الملائكة في أمر يدبره، وغاية الأمر: أن إرسـال الملائكة بعد هذا الخطاب يبقى مسكوتاً عنه، فيرجع في إثباته أو نفيه إلى الأدلة، ولكن داعية القاديانية لا يفرق بين قولك: إن الآية لا تدل على بقاء الرسالة في البشر، وهو موضع حديثنا، وبين قولك: إن الآية تدل على انقطاع إرسال الله رسلاً من الملائكة أو البشر، وهذا ما لم نقله، فداعية القاديانية اشتبه

عليه إبطال استدلالهم بالآية على أن الله يصطفي رسلاً بعد بعثه أفضل الخليقة، بالاستدلال بها على نفي اصطفاء رسل من البشر أو الملائكة، وليس هذا الاشتباه على أمثاله بغريب.

وأورد داعية القاديانية مستدلاً على ما يزعم من عدم انقطاع النبوة قوله تعالى:

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[البقرة: ١٢٤].

فقال: «وعد الله في هذه الآية بجعل الإمامة في ذرية إبراهيم ما عدا الظالمين منها، فهل يظن المشايخ أن ذرية إبراهيم كلها صارت في زمرة الظالمين، لاسيما الأمة المحمدية، فحرمت من الإمام الموعود بها؛ أي: من النعمة الاجتماعية، ولا يظنن أحد من المشايخ ـ لأن غيرهم لا يتطرق إليه هذا الظن ـ أن المراد من الإمامة بالصلاة أو غيرها دون النبوة؛ لأن هذه الإمامة إمامة إبراهيمية، وهي النبوة دون شك كما كان هو إماماً بها ـ عليه السلام ـ، فالنبوة باقية في ذرية إبراهيم سوى الظالمين».

هذا ما يقوله الداعية في الاستدلال بهذه الآية على عدم انقطاع النبوة، ونحن لا نمانع من أن يكون المراد من الإمامة: النبوة، ولكننا نفهم الآية على معنى أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قد طلب من الله تعالى أن يجعل من ذريته أئمة؛ أي: أنبياء، إذ قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾، ولم يقل: (وذريتي)، فأجابه الله تعالى بقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾. وفي هذا عدة له بأنه سيجعل من ذريته غير الظالمين أنبياء؛ فإنه نفى أن ينال العهد ـ الذي هو الإمامة ـ الظالمين، ولو قال في الجواب: «نعم»، لأفاد أنه سيجعل من ذرية إبراهيم ـ عليه السلام ـ

أنبياء، ومن غير دلالة على أنهم سيكونون من المؤمنين، ولو قال في الجواب: «ينال عهدي المؤمنين» ـ مثلاً ـ، لم يكن فيه نص على أن الظالمين ليسوا بأهل للإمامة، فقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[البقرة: ١٢٤] نص على أن الظالمين ليس بأهل للإمامة، ويؤخذ منه ـ على طريق دلالة المفهوم ـ: أن النبوة تنال المؤمنين من ذريته، وقد قامت الأدلة القاطعة على أن من لم يكونوا ظالمين قد يرفعهم الله تعالى إلى مقام النبوة، كما رفع إليه إسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى ومحمداً ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وقد يبقى في منزلة دونها؛ ككثير من الصالحين الذي طهرهم الله تعالى من الظلم، ولم يدعوا النبوة في حال، فقول داعية القاديانية: «فهل يظن المشايخ أن ذرية إبراهيم كلها صارت ظالمة... إلخ» ضرب في غير مفصل، ورمي الكلام في غير مرمى؛ فإن المشايخ يقولون: إن الآية واردة للدلالة على أن النبوة تجعل في غير الظالمين، ويقولون مع هذا: الله أعلم أين يجعلها؟ ومتى يجعلها؟ وليس في الآية دليل على بقاء النبوة في سائر العصور، حتى في العصر الذي يستغنى فيه عن النبوة والرسالة بالكتاب الذي أودع الله تعالى فيه جلائل الهداية ودقائقها، وتكفل بحفظه وحمايته من أن يدخله تحريف، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام: ٣٨].

وقال تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر: ٩].

ومن نفى عن أمة النبوة لعدم حاجتها إليها، ولقيام الأدلة على انقطاعها، لم يلزمه الحكم عليها بأنها كلها صارت ظالمة، ومن ألزمه هذا الحكم، فقد خرج عن أدب البحث، ومشى في غير طريق.

وأورد داعية القاديانية في الاستدلال على بقاء النبوة قوله تعالى:

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[الفاتحة: ٦ ـ ٧].

فقال: «هذا الدعاء يبشرنا بأن الله يجعل المؤمنين في مقام الذين أنعم عليهم سابقاً، ويعطيهم كل نعمة أعطاها للأولين، ويتمها عليها، والنعمة نعمتان: دينية ونهايتها النبوة، ودنيوية ونهايتها الحكومة والسلطة».

غاب هذا الداعية عن الصواب، وانطلق يتحدث في غير علم، ومن ذا الذين يعرف شيئاً من العربية الصحيحة أو المعتلة، ويقرأ قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾، ويفهم منها أن المناجي لله بهذه السورة يطلب أن يكون هو أو غيره من المؤمنين في مقام النبوة، والآية لا تدل على أكثر من أن المؤمن يدعو الله تعالى في جملة المؤمنين بأن يهديه طريق من أنعم عليهم. ومن استقام على واجبات الدين وسننه جهد استطاعته، فقد اهتدى طريق المنعم عليهم، ولا يلزم من اهتدائه لطريق المنعم عليهم من النبيين أن يرزق ما رزقوه من نعمة النبوة التي لا ينالها الناس بكثرة أعمالهم الصالحة؛ إذ النبوة مقام يختص به الله من يشاء من عباده.

وما قاله هذا الداعية في هذه الآية أصله لكبيرهم الذي علمهم اللعب واللغو في تفسير القرآن الحكيم؛ إذ قال في خطبته الإلهامية: «وأنا المنعم عليه الذي أشير إليه في الفاتحة عند ظهور الحزبين المذكورين»؛ يعني: المغضوب عليهم، والضالين، وقال: «إن سورة الفاتحة لتؤذن إيذاناً بأن بعض الأفراد من هذه الأمة سيظهرون بمظهر الأنبياء من كل الوجوه».

ومن نكد الدنيا أن نشتغل بحكاية أمثال هذا اللغو، وننفق وقتاً في التنبيه على أنه هذيان في هذيان.

وأورد داعية القاديانية في الاستدلال على بقاء النبوة قوله تعالى:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

فقال: «وهذه الآية تصرح جلياً أن الأمة المحمدية تنال هذه الدرجات الأربع».

والصواب في فهم الآية أن قوله تعالى:

﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾.

هو بيان لقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾، والأصل في كلمة «مع»: المصاحبة، والمصاحبة لا تستلزم المساواة في الرتبة، بل يكفي فيها الاشتراك في دار النعيم، مع تمكن كل واحد من رؤية الآخر، وملاقاته متى شاء.

فالآية وردت لبيان ما يجازى به المطيع لله ورسوله، وهو مرافقة الأنبياء ومن ذكر بعدهم، وتأويلها على معنى: أن من المطيعين أنبياء، ومنهم صديقين، ومنهم شهداء، تأويل للآية على معنى لا يتقبله إلا نفوس تلوثت باعتقاد أن غلام أحمد وأذنابه أنبياء صادقون.

وأما ما ذكره الداعية من أن قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بيان لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾، فحمل للآية على وجه تتجافى عنه قوانين البلاغة، ويكسبها تعقيداً يتبرأ منه كلام الفصحاء، قبل أن يتبرأ منه كلام خالق الفصحاء. فعد هذا الوجه في أخطاء قائله أولى من حشره في شبه هي أوهى من نسج العنكبوت.

*** دعوى غلام أحمد أنه أفضل من عيسى ـ عليه السلام ـ:**

نقلنا في مقالنا السابق شواهد على غرور غلام أحمد، واستحواذ الشيطان

عليه، حتى ادعى أنه خير من عيسى ـ عليه السلام ـ، فرد داعيتهم على هذا باعتراف أن غلام أحمد يفضل نفسه على عيسى ـ عليه السلام ـ، وذهب إلى أن هذا التفضيل صحيح، بزعم أن غلام أحمد مسيح الأمة الإسلامية، فيكون أفضل من مسيح الأمة الإسرائيلية. ولم يستطيعوا إنكار هذه الضلالة؛ لأن غلام أحمد قالها في مواضع من مؤلفاته بعبارات صريحة، ففي مقال له نشر في كتاب «تعاليم المسيح المنتظر» ما يأتي: «كما أن مؤسس الشريعة الإسلامية أعظم من مؤسس الشريعة الموسوية، كذلك مسيح السلالة الإسلامية أعظم من مسيح السلالة الموسوية».

فالقاديانيون يعتقدون أن غلام أحمد أفضل من عيسى ـ عليه السلام ـ، أفلا يكفي هذا شاهداً على أن النحلة القاديانية شعبة من الشعب التي انسلخت من الإسلام، والإسلام بريء منها؟! وكيف يكون غلام أحمد الذي قامت البراهين على كذبه وسوء طويته، أفضل من عيسى بن مريم الذي وصفه الله تعالى في كتابه العزيز بالنبوة والرسالة، وأيده بالآيات البينات، فما قاله غلام أحمد في الاستدلال على أفضليته، إلحاد وهذيان، فإن دعواه أنه مسيح السلالة الإسلامية باطلة على البداهة، وكل ما يبنى عليها ضلال في ضلال.

*** تكفير غلام أحمد لمن عصمهم الله من اتباعه:**

ذكرنا في مقالنا السابق: أن غلام أحمد يعد المسلمين الذين ينبذون دعوته كفاراً، ويمثلهم باليهود، فأراد الداعية القادياني أن يرد علينا في هذا الموضع، وأورد حديث: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل»، وحديث: «إن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة،

وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»، ثم قال: (وأحمد المسيح الموعود لم يجعل مسلماً كافراً، ولم يمثل مؤمناً باليهود، بل بيّن حقيقة قرآنية، ونبأً نبوياً).

ثم قال: «وإننا نسأل المشايخ: هل كان قول أحمد في غير محله، وهل كان مجيئه في غير حاجة».

ونحن لم ننازع في أن من المنتمين إلى الإسـلام طوائف زائغة عن السبيل، حتى نحتاج إلى أن نذكر بهذه الأحاديث، والذي نعده في ضلالات غلام أحمد: أنه يسمي المسلمين الذين لا يقبلون دعوته كفاراً، وينهى عن مصاهرتهم، والصلاة خلفهم. ومن شواهد تكفيره لمن حفظهم الله تعالى من فتنته: قوله في كتاب «حقيقة الوحي»: «الكفر على قسمين: **أحدهما:** أن يجحد الرجل عن الإسلام، أو نبوة محمد ﷺ. **والثاني:** أن يجحد المسيح الموعود (يعني: نفسه)، ويكذبه مع سطوع الحجج على صدقه، وإن أمعنت النظر، وجدت كلا القسمين واحداً».

ومن تمويه داعيتهم قوله: «إن أحمد المسيح الموعود لم يجعل مسلماً كافراً. . . إلخ»؛ فإن المسلم والمؤمن عند القاديانية من صدق بأن غلام أحمد نبي، وغيره في مذهبهم ليس بمسلم ولا مؤمن، فإذا وصف من لم يقبلوا دعوته بالكفر أو باليهودية، لم يجعل مسلماً كافراً في نظرهم أو يهودياً.

أما قوله: «وإننا نسأل المشايخ: هل كان قول أحمد. . . إلخ»، فجوابه: أن غلام أحمد يقول غير الحق، وما كانت دعوته إلا فتنة وتفريقاً بين المسلمين، وصداً عن طرق الفلاح ومراقي العزة، ولم يجئ على يديه ما فيه خير الدين،

بل وضع نحلة ملفقة من آراء باطلة، وأقوال لاغية، ثم أضاف إليها شيئاً من مبادئ الإسلام، وسمّاها في الظاهر باسم الإسلام مكراً وتغريراً.

*** تزوير داعية القاديانية:**

نقل هذه الداعية عبارات لبعض العلماء في صورة الاستدلال بها على أن في أهل العلم من يذهب إلى بقاء باب النبوة مفتوحاً، ولسنا في حاجة إلى إطالة الكلام بذكر تلك العبارات، وبيان ما فيها من جهالة أو تحريف، ونقول ـ والأدلة تناصرنا ـ: إن كل عبارة تصرح بصحة بعث نبي بعد الرسول غير عيسى ـ عليه السلام ـ فهي كفر صراح. ونسوق إليك مثلاً من تزوير هذا الداعية فيما يعزوه إلى أولئك العلماء:

نقل الداعية عبارة للشيخ عبد القادر الكردستاني يوهم بها أن الشيخ يجوز أن يجيء نبي بعد رسول الله ﷺ غير مشرع، فقال: يقول الشيخ عبد القادر الكردستاني ما نصه: «إن معنى كونه خاتم النبيين هو أنه لا يبعث بعده نبي مشرع».

أورد القادياني هذه العبارة مقطوعة عن سابقها ولا حقها؛ ليخدع بها قراء ورقاته. والحقيقة أن عبارة الشيخ عبد القادر وردت في تعليقه على كتاب «التهذيب وشرحه»، وأصل ما في «التهذيب والشرح»: «وأنه لا يبعث نبي بعده، ولكن رسول الله، وخاتم النبيين، وإذا ثبت أنه خاتم الأنبياء ثبت أنه لا تنسخ شريعته». وكتب الشيخ عبد القادر معلقاً على ذلك ما نصه: قوله: «وأنه لا يبعث نبي بعده» إشارة إلى دفع ما يقال: إن عيسى حي بعد نبينا ﷺ حيث رفع إلى السماء، وينزل إلى الدنيا، فلا يكون ﷺ خاتماً، وحاصل الدفع: أن معنى كونه خاتم النبيين: هو أنه لا يبعث بعده نبي آخر

بشـريعة أخرى، فإن عيسى ـ عليه السـلام ـ إنما ينزل على شـريعة نبينا، ولا يسعه إلا اتباعه».

هذه عبارة الشيخ الكردستاني، وهي ـ كما رأيتها ـ خاصة بالحديث عن عيسى ـ عليه السلام ـ، ولم يقلها ليدل على أن باب النبوة بعد النبي ﷺ لا يزال مفتوحاً، وهذه العبارة تشبه عبارة النيسابوري إذ قال عند قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـنَ﴾[الأحزاب: ٤٠]: ومجيء عيسى ـ عليه السلام ـ في آخر الزمان لا ينافي ذلك؛ لأنه ممن نبئ قبله، وهو يجيء على شريعة نبينا ﷺ مصلياً إلى قبلته، وكأنه بعض أمته. وهذا مثل ينبئك أن داعية القاديانية ينسب إلى علماء الإسلام ما لم يخطر لهم على بال.

*** اقتراح غلام أحمد على علماء الهند أن يتركوه عشر سنين:**

ذكرنا في المقال السابق: أن غلام أحمد اقترح على علماء الإسلام بالهند أن يتركوه عشـر سـنين لا يعارضونه، ولا يفندون آراءه، وقال لهـم: إن كنت كاذباً، فسـيظهر كذبي، وإن كنت صـادقاً، نجوتم من العقوبة التي ينزلها الله على من يناوئني، وقلنا: إن العلماء لم يكونوا من الغباوة بحيث تروج عليهم هذه المكيدة، بل لم يكونوا من الجهل بواجبات الدين على حد أن يقبلوا هذا الاقتراح، ويطلقوا لغلام أحمد الشكيمة غير مبالين بما يفسده من عقائد وأخلاق وآداب، ولم يخجل داعية القاديانية أن يتعرض في مقاله لهذا الاقتراح، وتبلغ به قلة الخجل أن يعد مثل هذا في طرق الدعوة الصحيحة، ويقيسه بحكمة القرآن الحكيم في قوله تعالى:

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًۭٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًۭا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟

ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران: ٦٤].

والفرق بين الآية الكريمة، واقتراح غلام أحمد، كالفرق بين البياض الناصع، والسواد الحالك، وداعية القاديانية إما أنه لم يفهم معنى الآية، وإما أنه يتخيل أن قراء مقاله قد وضعوا عقولهم بين أصابعه يعبث بها كيف يشاء.

وهل من المعقول أن يكون مثل غلام أحمد في اقتراحه السخيف مثل رسول الله ﷺ إذ أمره الله تعالى بأن يدعو أهل الكتاب إلى إخلاص العبادة لله تعالى، وعدم اتخاذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإذا لم يقبلوا هذه الدعوة، اعتز هو وأصحابه بإسلامهم، وأعرض عن أولئك الجاهلين؟!.

وإذا قص القرآن الكريم أن بعض المدافعين عن رسول عزم بعض قومه على قتله، قال لهم في دفاعه عنه:

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾[غافر: ٢٨].

فإن ذلك الرجل إنما قال هذه الكلمة في حق داع إلى الله بحق، قد قامت البينات على صدقه، ولم يكن بيد القوم دليل أو أمارة على كذبه البتة، وليس هذا حال غلام أحمد مع علماء الإسلام، فإن دعاوي غلام أحمد مناقضة لأصول الإسلام، فكذبه مقطوع به، فإذا قال لأهل العلم: دعوني، ولا تتعرضوا لدعاياتي مقدار عشر سنين، فإنما يقول لهم: دعوني أبدل دينكم الحنيف، وأهدم شريعتكم الغراء، وأقيم العقبات في سبيل عزتكم، وكونوا على هذا البلاء صابرين، ولهذه المهانة محتملين، وبعقوبة الله غير مبالين.

ولا عجب لمن لم يذق للغيرة على الحق طعماً أن يعرض ذلك الاقتراح على من علمهم القرآن العزيز أدب النصح لله ولرسوله وللمؤمنين.

*** ادعاء غلام أحمد للنبوة:**

بعث إلينا معتمد القاديانية في بلد «نكس» بلاهور كتاباً ينكر فيه أن غلام أحمد قد ادعى النبوة، ويعد فرقة قاديان التي من زعمائها داعية فلسطين فئة ضالة، ومما قاله في الكتاب: «حينما بحثتم عن عقائد فئة قاديان الغالية الضالة عن جادة الحق والصواب، بنيتم بحثكم على عبارات هذه الفرقة الغالية دون عبارات كتب حضرة المجدد وتصريحاته، وجعلتم عقائد هذه الفئة مرايا عقائد حضرة المجدد افتراء عليه». ثم قال: «فعليك أن تأتي بكلمة من كتبه دالة على أن حضرة المجدد ادعى النبوة، ولن تستطيع أبداً».

ونحن نوافقه على أن فرقة قاديان فرقة ضالة، بل هي خارجة في ضلالها عن دائرة الإسلام، ونقول له: إن حضرة مجددكم قد فضل نفسه على عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ، وهل يصح لمجدد أن يفضل نفسه على رسول عظيم قبل أن يزعم أنه قد أوتي النبوة والرسالة؟! وإذا كان غلام أحمد لا يدعي النبوة والرسالة، فما معنى الآيات التي يتبجح بها، ويزعم أن الله أيده بها، والمجدد والمصلح غير النبي إنما يرجع إلى كتاب الله، وسنّة رسول الله، أو إلى الأصول النظرية المعقولة، فيستمد منها الأدلة على ما يقرره ويدعو إليه من عقائد أو أحكام أو آداب، وإذا لم يمكنه إقناع الناس من هذه الناحية، فعدّه مجدداً مصلحاً، جهالةٌ ليس وراءها جهالة.

أليس مجددكم هو الذي يقول: «بعث الله تعالى في هذه الأمة مسيحاً أفضل من المسيح الأول في جميع الكمالات، والذي نفسي بيده! لو كان

عيسى بن مريم في زمان أنا فيه، لما استطاع عملاً مما عملته، ولم يكد يظهر المعجزة التي ظهرت».

أو ليس مجددكم هو الذي يدعي أنه أوحي إليه قوله: «إنا أرسلنا أحمد إلى قومه، فأعرضوا عنه، وقالوا: كذاب أشر»؟!.

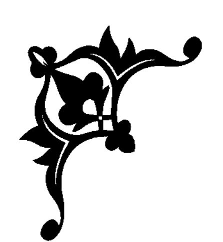
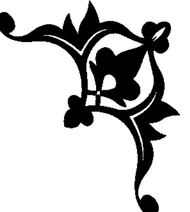
بل وجد في كلام غلام أحمد ما يدل على أنه يحدث نفسه بأنه رسول مشرع؛ فقد عد من أقسام الكفر: جحود المسيح الموعود (يعني: نفسه)، وتكذيبه فيما جاء به، وقال في حاشية على كتاب «ترياق القلوب»: «وليتنبه أن تكفير المنكرين من خواص الأنبياء الذين جاؤوا بشريعة جديدة، وأحكام ناسخة، وأما من سواهم من الملهمين والمحدثين، فلا يكفر أحد بجحوده». فإن كان غلام أحمد يكتب ما يكتب وهو عارف ما يكتب، قلنا: إن حكمه بتكفير من يكذب به، ثم قصره التكفير على من يكذّب الأنبياء الذين جاؤوا بشرائع جديدة، يفيدان أن غلام أحمد يدّعي أنه من الأنبياء الذين جاؤوا بشرائع جديدة.

فدعوا أيها اللاهوريون ذكر النبوة الظلية أو المجازية، وتعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم: أن نثق بأن غلام أحمد قد ادعى النبوة والرسالة كذباً، وأميطوا ما يزعم غلام أحمد أنه أوحي إليه إماطة الأذى عن الطريق، وارجعوا إلى كتاب الله وسنّة رسول الله، ولا تجحدوا ما نطق به القرآن من معجزات رسل الله الأكرمين، واعترفوا بأن ما أولتموها به لا يحتمله اللفظ العربي، ولا يسمح به سياق الآيات، ولم يعرفه علماء الصحابة الذي تلقوا القرآن وبيانه من فم رسول الله ﷺ.

وأن فرقة القاديانية التي تصدق غلام أحمد في دعوى النبوة لتعدُّكم

فرقة خارجة عن نحلتهم، والأمة الإسلامية التي تؤمن بما نزل على محمد ﷺ، وما حدّث به محمد ﷺ، تعدّكم فرقة خارجة عن حدود دينهم، وليس تأويلكم للمعجزات المذكورة في القرآن إلا إنكاراً لوقوعها، وما تسميتكم لغلام أحمد بالمجدد المصلح إلا نصب أحبولة لاستدراج المستضعفين أو الغافلين إلى نحلة ملفّقة شوهاء.



نقض شُبه القاديانية(١)

كنا كتبنا في مجلة «نور الإسلام»(٢) مقالاً نبهنا فيه المسلمين لنزعة غلام أحمد، ومزاعمه الباطلة، فكان له ـ بحمد الله تعالى ـ أثر عظيم في إيقاظ من كانوا في غفلة عن هذه النحلة، وما يثيره دعاتها في العالم الإسلامي من فتون وشرور، فتميز أولئك الدعاة غيظاً، وما كان من داعيتهم في فلسطين إلا أن كتب مقالاً يوهم فيه الطائفة الواقعة في حبالتهم أنه يرد على مقالنا.
ووقع نظرنا على ذلك المقال المملوء بالتمويه والالتواء عن آداب المناظرة، فبدا لنا أن نعود للكتابة في تلك النحلة، فنزيد حالها إيضاحاً. وكتبنا في مجلة «نور الإسلام» مقالين آخرين نبهنا فيهما لبعض ما في مقال ذلك الداعية من مراوغة وانحراف عن السبل، وسقنا فيها بعض ما نطق به كبيرهم غلام أحمد من زور وهذيان، وحدث بعد هذا أن نشر ذلك الداعية في أوراق يصدرونها في شكل مجلة مقالاً حاول فيه الرد على مقالنا الثاني المنشور في مجلة «نور الإسلام». والواقع أنه لم يأت في مقاله هذا إلا بما يطعن في دعوتهم، ويزيد الناس خبرة بفساد مذهبهم، وقد كان في عرض بعض أقوال غلام أحمد وشيء من مسلكه الكفاية للدلالة على أنه يكيد للأمة

(١) مجلة «نور الإسلام» ـ الجزآن السابع والثامن من المجلد الرابع.
(٢) وهو المقال المنشور في هذا الكتاب.

الإسلامية، ويقول على الله غير الحق. ولا حاجة بنا في إبطال دعوة النبوة والرسالة إلى الخوض أن النبوة منقطعة أو باقية؛ فإن تلك الأقوال التي صدرت من غلام أحمد، تنادي بملء حروفها أن النبوة في ناحية اليمين، وهو في ناحية الشمال، ولكنا آثرنا النزول إلى نقض بعض مزاعمهم؛ حذراً من أن تجد أذهاناً غافلة فتعلق بها. وها نحن أولاء نعرض على حضرات القراء قطعاً من مقال داعية القاديانية؛ ليزدادوا علماً بحال تلك النحلة، ومبلغ دعاتها من لبس الحق بالباطل:

رأى غلام أحمد ومن اتبع خطواته أن قوله تعالى في وصف الرسول الأعظم ﷺ: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠] يسد الطريق على من يريد فتنة الناس بدعوى النبوة، فحاولوا تأويل الآية على معنى أنه أفضل النبيين، أو سيد النبيين، وابتغوا هذا التأويل؛ ليتهيأ لهم أن يقولوا على الله ما شاءت أهواؤهم، ويفسدوا على المسلمين أمر دينهم، فقلنا لهم: إن علماء التفسير قد اتفقوا على أن ﴿وَخَاتَمَ﴾ في الآية بمعنى: آخِر، وهو المعنى الذي يذكره علماء اللغة، ويسوقون من شواهده هذه الآية، ومن أراد صرف ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ عن معنى: آخِر النبيين إلى معنى: أفضل النبيين، فعليه بإقامة شاهد، أو نقل كلمة عن بعض علماء اللغة يدل على أن وصف الرجل بكونه خاتماً لقوم، يقصد منه أنه أفضلهم، أو سيدهم، ولكن داعية القاديانية لم يستطع أن يقيم من كلام العرب أو علماء اللغة ولو شاهداً واحداً على أن مثل تركيب ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ قد يستعمل بمعنى: أفضلهم، أو سيدهم.

يقول الداعية في مقاله الجديد: «وكنا سقنا شواهد واستعمالات العرب في كون لفظ الخاتم مضافاً، والقوم أولي المناصب مضافاً إليهم، وكون

استعمال هذا المركب الإضافي، في مقام المدح، ولا يتأتى المعنى في تلك الاستعمالات إلا أن الممدوح أفضل القوم وسيدهم».

والداعية لم يورد في مقاله السابق شيئاً من كلام العرب يشهد بأنه الخاتم إذا أضيف إلى القوم أولي المناصب كان بمعنى: أفضلهم، أو سيدهم، وإنما أورد عبارات لمن لا يحتج عالم في تفسير كتاب الله تعالى بكلامهم، ولا تتجاوز تلك العبارات وصف أحد الرجال بأنه خاتم العلماء، أو الأولياء، أو الشعراء، ما هي إلا أقوال صدرت من بعض رجال القرون المتأخرة، أو القريبة منها، وإنما يحتج في تفسير القرآن الكريم بكلام العربي الصميم.

وهل رأيتم مجادلاً أسخف قولاً ممن يحتج في بيان معنى آية من كتاب الله تعالى بما كتبته المطبعة الأزهرية على أول الصحيفة الأولى من كتاب «الإتقان»؛ أعني قوله: «الجزء الأول من كتاب الإتقان في علوم القرآن لخاتمة المحققين».

ثم إن أمثال هذه العبارات من نحو خاتم المحققين، أو خاتم الأئمة، أو خاتم المجتهدين، قد ينساق إليها قائلها من شدة إكباره لمقام الممدوح، لحد أن يظن بلوغه مرتبة يبعد أن ينالها أحد من بعده، كما قالوا:

هيهات أن يأتي الزمان بمثله ... إن الزمان بمثله لبخيل

وكما قالوا:

حلف الزمان ليأتين بمثله ... حنثت يمينك يا زمان فكفِّرِ

وكما قال السيوطي في تقي الدين الحراني: «آخر المجتهدين».

وفسر الداعية في مقاله الأول الخاتم بمعنى: الزينة، ولم يجد شاهداً على هذا من كلام العرب، أو أقوال اللغويين، أو المفسرين، فتعلق بكلمة

للشيخ محمد طريح النجفي (أحد علماء الشيعة) اقتطعها اقتطاعاً، فقال: يقول صاحب «مجمع البحرين» ما نصه: «ومحمد خاتم النبيين يجوز فيه فتح التاء وكسرها، فالفتح بمعنى: الزينة، مأخوذ من الخاتم الذي هو زينه للابسه».

والواقع أن الشيخ النجفي قد صرح بأن النبي ﷺ آخر النبيين، فقد قال قبل تلك الكلمة التي اقتطعها الداعية: «قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠]؛ أي: آخرهم، ليس بعده نبي». ثم قال: «ومحمد خاتم النبيين يجوز فيه فتح التاء وكسرها، فالفتح بمعنى: الزينة، مأخوذ من الخاتم الذي هو زينة للابسه، وبالكسر اسم فاعل بمعنى: آخر».

ولما كان صاحب «مجمع البحرين» يعتقد أن محمداً ﷺ آخر الأنبياء ليس بعده نبي، فقصارى أمره أن يكون أخطأ في تأويل ﴿وَخَاتَمَ﴾ على قراءة الفتح بمعنى: الزينة؛ فإنه مخالف لأقوال من هم أدرى منه بتفسير كتاب الله تعالى، وبوجوه استعمال الألفاظ العربية حقيقة أو مجازاً.

وها نحن أولاء نسوق إليكم طائفة من أقوال علماء اللغة والمشاهدة بأن الخاتم ـ بفتح التاء أو كسرها ـ بمعنى: الآخِر، قال صاحب «اللسان»: «وخاتَمهم، وخاتِمهم: آخِرهم، ومحمد ﷺ خاتم النبيين». وقال ابن سيده في كتاب «المحكم»: «وختام القوم، وخاتَمهم، وخاتِمهم: آخرهم»، وقال: «وفي التنزيل: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠]؛ أي: آخرهم». وقال الأزهري في كتاب «التهذيب»: «وخاتم كل شيء: آخره، وقوله تعالى: ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ معناه: آخر النبيين». ولم يذكر أحد من هؤلاء الأئمة أو غيرهم كصاحب «الصحاح»، وصاحب «المصباح»، وصاحب

«القاموس»، وصاحب «أساس البلاغة» أن الخاتم يكون بمعنى: الزينة.

ولعل الداعية يعلم أن القرآن الكريم إنما يستشهد في تفسيره بكلام العرب، ويتيقن أن استشهاده بالعبارات التي ينقلها عن بعض الكتاب أو أصحاب المطابع، لا يتقبله أهل العلم، ولكنه يسوقها استهواء لقوم يجهلون آداب البحث، ولا يفرقون بين ما يصح أن يستشهد به في تفسير كتاب الله تعالى، وما لا يصح الاستشهاد به.

وخلاصة البحث: أن علماء اللغة يقولون: الخاتم بمعنى: الآخر، والمفسرون يقولون: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠]؛ أي: آخرهم، وداعية القاديانية يزعم أن ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بمعنى: زينتهم، أو سيدهم، أو أفضلهم. وانتظرنا منه أن يأتي بشاهد على هذا من كلام العرب، أو من كتب اللغة، أو من أقوال أئمة التفسير، فلم يفعل، وذهب يعارض أئمة اللغة والتفسير، بلغو من القول، كأنه لا يشعر أن القرآن الكريم قول فصل، وما هو بالهزل.

يفكر داعية القاديانية أن النبي ﷺ خاتم النبيين، ويذهب إلى أن ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ في الآية يستعمل بمعنى: أفضل النبيين، أو زينتهم، وأورد في الاستدلال على أن لفظ خاتم يستعمل بمعنى: أفضل، أو زينة حديثاً هو: أن النبي ﷺ قال للعباس ﷺ: «أنت خاتم المهاجرين في الهجرة، وأنا خاتم النبيين في النبوة».

وهذا الاستدلال مدفوع بأن الذي ورد في كتاب «أسد الغابة»: أن العباس استأذن النبي ﷺ في الهجرة، فقال له: «يا عم! أقم مكانك الذي أنت به، فإن الله تعالى يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة». وقرأنا في كتاب «الإصابة»: أن العباس «هاجر قبل الفتح بقليل»، وقرأنا في غزوة الفتح من

«سيرة ابن هشام»: أن العباس ﷺ لقي رسول الله ﷺ ببعض الطريق، لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله، وقد كان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته، ورسول الله ﷺ عنه راض.

فصاحب كتاب «الإصابة» يقول عن العباس ﷺ: إنه هاجر قبل الفتح بقليل، وابن هشام يقول: لقي رسول الله ﷺ بالجحفة مهاجراً بعياله. فمتى ثبت حديث: «أنت خاتم المهاجرين»، صح أن يكون العباس خاتم المهاجرين بمعنى: آخرهم؛ أي: آخر المهاجرين من مكة إلى المدينة؛ لقوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح». وداعية القاديانية لم يأت بشاهد على أن بعض المسلمين قد هاجر بعد العباس حتى يمتنع أن يكون خاتم المهاجرين بمعنى: آخرهم.

وأورد داعية القاديانية على تفسير خاتم بأفضل أو زينة حديثاً عزاه إلى «كتاب الصافي» الذي هو تفسير لأحد علماء الشيعة، وهو «أنا خاتم النبيين، وأنت يا علي خاتم الأولياء»، ولكن صاحب «كتاب الصافي» لم يروه بسند، ولم يسنده إلى كتاب، حتى نبحث في سنده، وتتبين حقيقته، بل قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠]: آخرهم الذي ختمهم، أو ختموا به ـ على اختلاف القراءتين ـ، وعن النبي ﷺ قال: «أنا خاتم النبيين، وعلي خاتم الأولياء».

فصاحب «كتاب الصافي» معترف بأن النبي ﷺ آخر النبيين، ولا يتم الاستشهاد بقوله: «خاتم الأولياء» إلا أن يذكر سند الحديث، ويكون رجاله ممن يوثق بهم في الرواية، أو يسنده إلى كتاب من الكتب المعروفة بالتحري في رواية الحديث. ومن الأحاديث الموافقة لهذا الحديث في المعنى، وقد

حكم عليها الحفاظ بالوضع: حديث: «كما أني خاتم النبيين، كذلك علي وذريته يختمون الأوصياء إلى يوم الدين»[١]. وقال ابن الجوزي: ولفظ: «خاتم الأولياء» باطل لا أصل له، وخاتم الأولياء في الحقيقة: آخر مؤمن بقي من الناس، وليس هو أحسن الأولياء، ولا أفضلهم، بل خيرهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[٢].

سقنا أحاديث صحيحة كثيرة في معنى انقطاع النبوة بعد بعثة النبي ﷺ، فذهب ذلك الداعية يحرفها عن مواضعها، ويقول فيها قول من لا يقدر الحديث النبوي قدره، ولا يبالي أن يخرج بالكلام العربي عن وجوه دلالته، وقد أريناكم فيما سلف نموذجاً من تأويلهم الباطل لبعض تلك الأحاديث، واليوم نسوق إلى حضراتكم مثالاً تشهدون فيه كيف يعتسفون في غير طريق، ويحاولون إرضاء شهواتهم، ولو بأقبح التأويل:

أوردنا ـ في جملة ما أوردنا من الأحاديث ـ ما جاء في «سنن الترمذي»، من أن النبي ﷺ قال: «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي، ولا نبي»، فشق ذلك على الناس، فقال: «ولكن المبشرات»، قالوا: يا رسول الله! وما المبشرات؟ قال: «رؤيا المسلم، وهي جزء من أجزاء النبوة».

وهذا الحديث صريح في انقطاع النبوة بعد البعثة المحمدية، ولكن الداعية القادياني حاول صرف هذا النص عن معناه، وذهب في تأويله، والخروج على حجته مذهب التعنت، حتى زعم أنه معارض لبعض آيات القرآن الكريم،

---

(١) انظر: «اللآلئ المصنوعة».

(٢) «تذكرة الموضوعات».

فقال: «إن القرآن المجيد يقرر نزول الملائكة على المؤمنين، وتبشيرهم إياهم بنصرتهم في الدنيا والآخرة، وذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[فصلت: ٣٠].

ويقول في مقام آخر: إن الملائكة وجبريل أيضاً تنزل كل ليلة قدر:

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[القدر: ٣ ـ ٤].

وكلام الملائكة مع البشر وحي في اصطلاح القرآن المجيد:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[الشورى: ٥١].

فإذا ثبت وجود الوحي من حيث القرآن المجيد، فلا بد من تأويل في معنى الحديث».

وليس في هاتين الآيتين ما يعارض الحديث، أما الآية الأولى، فتفسيرها عند بعض السلف على أن تنزل الملائكة، وقولهم للذين استقاموا: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ يكون عند الموت، وهذا ما يقوله مجاهد، والسدي، ومنهم من يقول: إن الآية إخبار عما يكون عند البعث، وهو قول مقاتل، ومنهم من يقول: إنها إخبار عما يكون عند الموت، وفي القبر، وهذا قول زيد بن أسلم.

وذهب آخرون في تفسيرها إلى أن الملائكة تمد صدور المؤمنين بما يشرحها، ويدفع عنها الخوف، على طريقة الإلهام، كما أن الشياطين تغوي الكافرين بتزيين القبائح، وتوسوس لهم بما يثير في قلوبهم الخوف

والحزن، قال تعالى:

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾[النمل: ٢٤].

وقال تعالى:

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾[البقرة: ٢٦٨].

وقال تعالى:

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾[الأنعام: ١٢١].

فليس بين حديث الترمذي وآية:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾[فصلت: ٣٠].

تعارض أو ما يشبه التعارض، إلا في نفوس باضت فيها الأهواء وفرّخت، ولم يكن للحكمة ولا للموعظة الحسنة عليها من سلطان.

ولو صح هذا الذي يقوله داعية القاديانية في تفسير الآية، لوجب أن يكون كل مؤمن مستقيمٍ نبياً يوحى إليه، ولا أقوى إيماناً من الخلفاء الراشدين، ولا أقوم منهم سيرة، وما ادَّعى أحد منهم أنه نبي أو رسول. أو أنه تأتيه الملائكة بالوحي، وما كان أحد من المسلمين يصفهم بالنبوة أو الرسالة، أفيزعم داعية القاديانية أنهم لم يقولوا: ربنا الله، ولم يستقيموا؟! أو أنهم لم يبلغوا في الاستقامة مبلغ غلام أحمد الذي أوغل في الضلالة، وأثار فتنة صادفت في بعض الناس غفلة أو جهالة، فكانوا لنارها حطباً!.

وأما آية:

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[القدر: ٤].

فليس فيها ما يدل على أن الملائكة يخاطبون المؤمنين على طريق الوحي الذي هو من خصائص الأنبياء ـ عليهم السلام ـ. وأئمة التفسير من السلف

والخلف يقطعون بكذب دعوى النبوة بعد البعثة المحمدية، ولا يجدون في هذه الآية ما يعارض الأحاديث الواردة في انقطاع النبوة.

ومن الوجوه التي تساعدها البلاغة، وتطابق بها الآية سائر النصوص: أن يكون تنزل الملائكة من أجل الأمور التي عهد إليهم بتدبيرها ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾[النازعات: ٥]، فإن حمل الأمر في الآية على معنى الحكم الشرعي، كانت إخباراً عن تنزلهم ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن الحكيم. والتعبير بالمضارع لاستحضار ذلك التنزل بصورته البديعة، وهو من أحسن الطرق المعهودة في البيان.

وزعم الداعية القادياني أن حديث الترمذي: «إن النبوة والرسالة قد انقطعت» يعارض الحديث الذي يقول: إن المسيح الموعود «يوحى إليه: أن حَوِّزْ عبادي إلى الطور؛ فإني قد أنزلت عباداً لي لا يَدانِ لأحد بقتالهم».

وردت أحاديث صحيحة في نزول المسيح ـ عليه السلام ـ، ولم يجد أهل العلم بينها وبين الأحاديث الصريحة في انقطاع النبوة معارضة، والراسخون في فهم الأحاديث النبوية، العارفون بوجوه استعمال الألفاظ العربية في حدود وضعها، وعرف البلغاء من الناطقين بها يقولون: إن الأحاديث الواردة في انقطاع النبوة تنفي وقوع نبوة بعد البعثة المحمدية، ولا تتناول عيسى ـ عليه السلام ـ؛ لأن النبوة ثابتة له من قبل. ومن هؤلاء من يحمل الأحاديث على امتناع بعثة نبي بعد البعثة المحمدية على وجه عام، ويستثنى من هذا العموم عيسى ـ عليه السلام ـ؛ للأحاديث الواردة في نزوله آخر الزمان. ومن حمل النصوص الواردة في انقطاع النبوة على نفي النبوة التشريعية؛ كالملاّ علي قاري، لا يقصد فتح باب النبوة غير التشريعية بإطلاق، حتى توضع دعوى

غلام أحمد النبوة موضع النظر، واحتمال أن تكون صحيحة، وإنما يقصد لوجه في تفسير الآية أو الحديث يتفق به مع الأحاديث الواردة في نزول عيسى ـ عليه السلام ـ.

فعلماء الإسلام ـ على اختلافهم في تفسير الآية والأحاديث ـ يتفقون على أن لا نبي ولا رسول بعد محمد ﷺ، إلا ما ورد من نزول عيسى ـ عليه السلام ـ.

وقد يأتي داعية القاديانية إلى عبارات بعض من ذهبوا في تفسير الآية أو الأحاديث إلى معنى نفي النبوة التشريعية ابتغاء الجمع بينها وبين الأحاديث الأخرى، ويأخذ منها ما يقولونه من أن الآية أو الحديث في نفي النبوة التشريعية، ويدع بقية كلامهم الصريح في أنهم ارتكبوا هذا التأويل لقصد خاص: هو أن لا تكون آية: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠]، وما يوافقها من الأحاديث نافية بمقتضى عمومها مجيء عيسى ـ عليه السلام ـ، وقد نبهنا في مقال سابق على هذا النوع من التزوير في كلام نقله عن الشيخ عبد القادر الكردستاني.

وإليك مثالاً آخر من هذا القبيل: قال الداعية: يقول المحقق المّلا علي قاري: «فلا يناقض قوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾؛ إذ المعنى: لا يأتي نبي ينسخ ملته، ولم يكن من أمته».

والواقع أن الملا علي قاري أورد حديث: «لو عاش إبراهيم، لكان نبياً»، وحديث: «لو كان بعدي نبي، لكان عمر بن الخطاب»[1]. ثم قال:

---

(١) رواه أحمد، والحاكم.

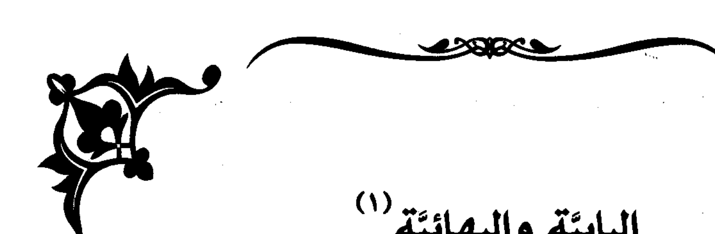
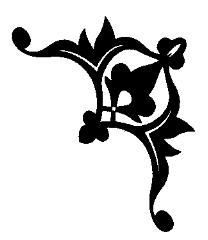
لو عاش إبراهيم، وصار نبياً، وكذا لو صار عمر بن الخطاب ﷺ نبياً، لكان من أتباعه ـ عليه السلام ـ؛ كعيسى، والخضر، وإلياس ـ عليهم السلام ـ، فلا يناقض قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠]؛ إذ المعنى: أنه لا يأتي نبي بعده ينسخ ملته، ولم يكن من أمته.

فهذا التأويل، مع عدم الحاجة إليه في تحقيق معنى الآية، إنما ارتكبه الملا علي قاري ليدفع به ما يقال من أن حديث: «لو عاش إبراهيم» يقتضي أنه لو عاش، وصار نبياً، لزم أن لا يكون نبينا ـ عليه السلام ـ خاتم النبيين، ولا حاجة إلى هذا التأويل، فإن حديث عمر بن الخطاب حجة على انقطاع النبوة بعده ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وأما حديث: «لو عاش إبراهيم، لكان نبياً»، فقد أورده الداعية في شبهة، وقال: «فلو بقي إبراهيم عائشاً، ما كان ثمة مانع من صيرورته نبياً، لا آية: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، ولا أي حديث».

وهذه الشبهة مدفوعة بأن هذا الحديث قد أنكر وروده طائفة من أهل الحديث، كما أنكره ابن عبد البر في كتاب «التمهيد»، وقال الإمام النووي في «تهذيبه»: «هذا الحديث باطل، وجسارة على الكلام بالمغيبات، ومجازفة وهجوم على عظيم». والأحاديث الموضوعة أو الضعيفة لا تقف في وجه الأدلة القطعية، ومن أراد أن يعقد بينها وبين القطعية وفاقاً، فليبق الأدلة القطعية بحالها، ويذهب في تأويل الضعيف أو الموضوع ـ على فرض ثبوته ـ ما شاء.



البابيَّة والبهائيَّة[1]

جاءنا من حضرة صاحب التوقيع السؤال الآتي:

ما البهائية؟ وما اعتقاد مؤسسيها وأتباعهم؟ وهل يعتقدون في الحشر والجنة والنار؟ وهل يعتقد البهائيون بنبوة سيدنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ؟ وإذا كانوا يعترفون بنبوة سيدنا محمد ﷺ، فكيف يعتقدون بنبي بعده، ودين غير دينه؟ وما الواجب عمله لإحباط مساعيهم حتى لا يقع أحد في شراكهم؟

بور سعيد. . .

الجواب:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد:

فقد احتوى هذا الخطاب مسائل متعددة، ونحن نورد كل سؤال، ونقفي على أثره بالجواب عنه مستندين فيما نكتب إلى مؤلفات[2]. للبهائيين أنفسهم، وكتبٍ[3]. ألفها بعض من اطلع على كتبهم المؤلفة باللغة الفارسية

---

(١) مجلة «نور الإسلام» ـ الجزء الخامس من المجلد الأول ـ القاهرة.

(٢) ككتاب «الدرر البهية»، وكتاب «عبد البهاء والعصر الجديد».

(٣) ككتاب «مفتاح باب الأبواب».

والعربية؛ بقصد بيان أمرهم نصيحة للإسلام والمسلمين.

س ـ ما البهائية؟

ج ـ البهائية: نسبة إلى بهاء الله: لقب به ميرزا حسين علي، وهو الزعيم الثاني للمذهب الذي تتولاه الطائفة المسماة بالبهائية. وتسمى هذه الطائفة: البابية نسبة إلى (الباب)، وهو لقب ميرزا علي محمد ذلك الذي ابتدع هذه النحلة. وإليك ملخص القول في نشأتها:

أصل نشأة هذه النحلة: أن ميرزا علي محمد الملقب بالباب نشأ في «شيراز» بجنوب إيران، وأخذ شيئاً من مبادئ العلوم، ثم اشتغل بالتجارة، ولما بلغ من العمر الخامسة والعشرين، ادعى أنه المهدي المنتظر، وكان إعلانه بهذه الدعوة سنة ١٢٦٠هـ، نعق بهذه الدعوة، فأخذها بالتسليم طائفة من الجاهلين. وأرسل بعض هؤلاء إلى نواح مختلفة من إيران للإعلام بظهوره، وبثّ شيء من مزاعمه، وتنبه العلماء لهذه الدعاية، فقاموا في وجهها، وعقد بعض الولاة بينهم وبين ميرزا علي هذا مجالس للمناظرة، فرأى بعضهم ما في أقواله من غواية وخروج عن الدين، فأفتى بكفره.

ورأى آخرون ما فيها من لغو وسخافة، فنسبه إلى الجنون واختلال الفكر.

واعتقل في «شيراز»، ثم بأصفهان، وساقته الحكومة الإيرانية في عهد الملك ناصر الدين شاه إلى «تبريز»، وثارت بين أشياعه وبين المسلمين فتن وحروب سفكت فيها الدماء، وكانت عاقبته أن أعدمته الحكومة في «تبريز» صلباً عام ١٢٦٥هـ.

وقعت بعد قتله فترة كانت أتباعه فيها على اختلاف في شأن من ينوب عنه، إلى أن دبروا اغتيال الملك ناصر الدين انتقاماً لزعيمهم، فهجم عليه

اثنان منهم، فخاب سعيهم، وأخذت الحكومة تتقصى أثر البابيين، وتسوق زعماءهم إلى مجلس التحقيق، وكان الميرزا حسين علي الذي لقبوه بعد بـ (بهاء الله) من شيعة الباب، ودعاة نحلته، فقبض عليه، وسجن بطهران بضعة أشهر، ثم أبعد إلى بغداد سنة ١٢٦٩هـ.

لما أدركت الحكومة الإيرانية خطر هذه الفئة وما يبيتونه من فتن؛ جعلت ترقبهم بحذر واحتراس، فالتحق طوائف منهم ببغداد، واجتمعوا حول ميرزا حسين الملقب ببهاء الله، ثم حدث بينهم وبين الشيعة ببغداد شقاق كاد يفضي إلى قتال، فقررت الحكومة العثمانية وقتئذ إبعاد البابيين من العراق، فنقلتهم إلى الآستانة، ونفتهم إلى «أدرنة».

قام المسمى (بهاء الله) لهذا العهد يدعو إلى نفسه، ويزعم أنه هو الموعود به الذي أخبر عنه الباب[1]، وقبل دعوته أكثر البابيين، وتسموا حينئذ بالبهائيين، وممن رفض دعوته أخوه ميرزا يحيى الملقب (صبح أزل).

ثم إن الحكومة العثمانية أمرت بإبعاد الفريقين من «أدرنة»، فنفت الميرزا يحيى وأتباعه[2] إلى «قبرص»، ونفت البهاء وأتباعه إلى «عكة» بفلسطين،

---

(١) يزعم البهائية أن الباب كان يشير إلى شخص يظهر بعده، وكانوا يعبرون عنه بلفظ: «من يظهره الله».

(٢) يسمى هؤلاء البابية: (الأزلية)؛ إذ يزعمون أن يحيى هذا هو مصداق ما أشار إليه الباب في كتاب «البيان» باسم: «من يظهره الله»، وهؤلاء يكفرون بالبهاء، ويتناولونه وأتباعه باللعن في السر والعلانية، وليحيي هذا كتاب أراد أن يحاكي به القرآن الكريم في ترتيب الآيات والسور، وحاول أن يحاذي به أسلوبه الحكيم، فافتضح أمره، وظهر سخفه، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢].

وبقي البهاء بعكة إلى أن هلك عام ١٣٠٩هـ، فتولى رئاسة الطائفة ابنه عباس الذي لقبوه بـ (عبد البهاء)، فأخذ يدعو إلى هذا المذهب، ويتصرف فيه كما يشاء، ولم يرض عن صنيعه هذا أصحاب البهاء، فانشقوا عنه، والتفوا حول أخيه الميرزا علي، وألفوا كتباً بالفارسية والعربية، وطبعوها في الهند يطعنون بها في سيرة عباس، ويصفونه بالمروق من دين البهاء.

س ـ ما اعتقاد مؤسسيها وأتباعهم؟.

ج ـ ليست البهائية بالنحلة المحدثة التي لم يتقدم لها في النحل المارقة من الإسلام ما يشابهها، أو تتخذه أصلاً تبني عليه مزاعمها، وإنما هي وليدة من ولائد الباطنية، تغذت من ديانات وآراء فلسفية ونزعات سياسية، ثم اخترعت لنفسها صوراً من الباطل، وخرجت تزعم أنها وحي سماوي.

ولولا أن في الناس طوائف يتعلقون بذيل كل ناعق، لما وجدت داعياً ولا مجيباً لندائها، وها نحن أولاء نسوق إليك كلمة في مذهب الباطنية، ونحدثك عن البابية أو البهائية حتى تعلم أنها سلالة من ذلك المذهب الأثيم:

تقوم دعوة الباطنية على إبطال الشريعة الإسلامية، وأصل نشأة هذه الدعوة: «أن طائفة[1] من المجوس راموا عند شوكة الإسلام تأويل الشرائع على وجوه تعود إلى قواعد أسلافهم، وذلك أنهم اجتمعوا، فتذاكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك، وقالوا: لا سبيل لنا إلى دفع المسلمين بالسيف؛ لغلبتهم، واستيلائهم على الممالك، لكنا نحتال بتأويل شرائعهم إلى ما يعود إلى قواعدنا، ونستدرج به الضعفاء منهم؛ فإن ذلك يوجب

(١) كتاب «المواقف وشرحه» للسيد الجرجاني.

اختلافهم، واضطراب كلمتهم».

وقد رسموا لهذا المذهب خطة دبروها بنوع من المكر، وهو أنهم جعلوا الدعوة مراتب:

١ ـ تفرس حال المدعو، أقابل للدعوة أم لا؟

٢ ـ استهواء كل أحد بما يميل إليه من زهد أو خلاعة.

٣ ـ التشكيك في أصول الدين.

٤ ـ أخذ الميثاق على الشخص بأن لا يفشي لهم سراً.

٥ ـ دعوى موافقة أكابر رجال الدين والدنيا لهم؛ ليزداد الإقبال على مذهبهم.

٦ ـ تمهيد مقدمات يراعون فيها حال المدعو لتقع لديه موقع القبول.

٧ ـ الطمأنينة إلى إسقاط الأعمال البدنية.

٨ ـ سلخ المدعو من العقائد الإسلامية، ثم يأخذون بعد هذا في تأويل الشريعة على ما تشاء أهواؤهم.

اتخذ هذه الخطة وسيلة إلى محاربة الدين الإسلامي طوائف كانوا يتظاهرون بأنهم من شيعة آل البيت، وهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء، ولا بشيء من الكتب المنزلة، ولا بيوم الجزاء، ولا أن للعالم خالقاً، وتراهم يستدلون بالقرآن والحديث، ولكن يحرفونهما عما أراد الله ورسوله منهما.

ومن الباطنية المتظاهرين بالتشيع لآل البيت من ادّعى النبوة لبعض آل البيت.

وكم أحدث هؤلاء الذين يدعون المهدية، أو النبوة، أو الإلهية من فتن! وكم جروا على العالم الإسلامي من بلاء! وكان أهل العلم يقاومون باطلهم،

ويهتكون أستارهم، وممن تصدى للرد عليهم: أبو حامد الغزالي، فألّف كتابه المسمى: «حجة الحق[1]»، وكتابه المسمى: «فضائح الباطنية[2]»، وذكر في مقدمة هذا الكتاب أنه طالع الكتب المصنفة فيهم، فوجدها مشحونة بفنين: فن في تواريخ أخبارهم وأحوالهم من بدء أمرهم إلى ظهور ضلالهم، وتسمية كل واحد من دعاتهم في كل قطر من الأقطار، وبيان وقائعهم فيما انقرض من الأعصار، وفن في إبطال تفاصيل مذاهبهم وعقائد تلقوها من الثنوية والفلاسفة، وحرفوها عن أوضاعها، وغيروا ألفاظها قصداً للتغطية والتلبيس، ثم بين أنه قصد في كتابه إلى الإعراب عن خصائص مذهبهم، والتنبيه على مدارج حيلهم، والكشف عن بطلان شبههم.

ولأبي بكر بن العربي مع بعض زعمائهم مناظرات ذكرها في كتاب «القواصم والعواصم»، وتناول الشيخ ابن تيمية مذهب الباطنية، وردّ على بعض فرقهم في بعض مؤلفاته.

عرفنا تاريخ الباطنية، وقرأنا بعض كتب البابية والبهائية، فوجدنا روح الباطنية حلت في جسم ميرزا علي، وميرزا حسين علي، فخرجت باسم البابية والبهائية.

الباطنية يستدلون بكلام النبوة، ويحرفون كلم القرآن والحديث عن مواضعه؛ كما فسروا حج البيت العتيق بزيارة شيوخهم، والبابية أو البهائية يستدلون بالقرآن والحديث، ويذهبون في تأويلهما إلى مثل هذا الهذيان نفسه، ولميرزا علي المسمى بـ (الباب) تفسير لسورة يوسف مشى فيه على

---

(١) ألفه باللسان الفارسي.

(٢) ألفه باللغة العربية وطبع في لندن.

هذا النمط، فقال في قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾[يوسف: ٤].

«المراد من يوسف: حسين بن علي، والمراد بالشمس: فاطمة، وبالقمر: محمد، وبالنجوم: أئمة الحق، فهم الذين يبكون على يوسف سجّدا»!.

وهذا أحد دعاتهم المسمّى: أبا الفضل الجرفادقاني قد أورد في كتابه المسمّى: «الدرر البهية» قوله تعالى:

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾[يونس: ٣٩].

وقوله تعالى:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾[الأعراف: ٥٣].

وقال: «ليس المراد من تأويل آيات القرآن: معانيها الظاهرية، ومفاهيمها اللغوية، بل المراد: المعاني الخفية التي أطلق عليها الألفاظ على سبيل الاستعارة والتشبيه والكناية». ثم قال بعد هذا: «قرر الله تنزيل تلك الآيات على ألسنة الأنبياء، وبيان معانيها، وكشف الستر عن مقاصدها إلى روح الله حينما ينزل من السماء». وقال: «إنما بعثوا ـ عليهم السلام ـ لسوق الخلق إلى النقطة المقصودة، واكتفوا منهم بالإيمان الإجمالي حتى يبلغ الكتاب أجله، وينتهي سير الأفئدة إلى رتبة البلوغ، فيظهر روح الله الموعود، ويكشف لهم الحقائق المكنونة في اليوم المشهود»، وقال: «وفي نفس الكتب السماوية تصريحات بأن تأويل آياتها إلى معانيها الأصلية المقصودة لا تظهر إلا في اليوم الآخر؛ يعني: القيامة، ومجيء مظهر أمر الله، وإشراق آفاق الأرض ببهاء وجه الله».

ثم قال: «ولذلك جاءت تفاسير العلماء من لدن نزول التوراة إلى نزول البيان[1] تافهة باردة عقيمة جامدة، بل مضلة مبعدة محرفة مفسدة».

كنا نود أن نصرف القلم عن نقل مثل هذا السخف، ونصون صحف الكتاب عن أن تحمل لقرائه شيئاً من الزيغ والإلحاد في آيات الله، والاعتداء على علماء الإسلام الذين رفعوا منار الحق، وأذاقوا بحججهم أعداء الإنسانية عذاباً أليماً، ولكن دعاة هذا المذهب قد استهووا فريقاً من أبناء المسلمين، وأصبحوا يدعون إلى مذهبهم في النوادي، ويتحدثون عنه في الصحف، وألفوا كتباً تقع في أيدي بعض الشباب، فذلك ما اضطرنا إلى أن نبسط القول في بيان نحلتهم، وسرد أقوالهم؛ حتى يكون المسلمون على بينة من أمرهم.

لهج البابية البهائية مقتفين أثر إخوانهم الباطنية بهذا النوع من التأويل؛ ليدخلوا منه إلى العبث في تفسير القرآن والحديث، وصرفهما عما يراد بهما من حكمة وهداية.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر: ٩].

أنزل الله القرآن بلسان عربي مبين، ودلنا على أن الرسول الأعظم ﷺ يقوم ببيان ما خفي على الناس علمه، فقال تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[النحل: ٤٤].

وما زال السلف من الصحابة والراسخين في العلم من بعدهم، يفسرون القرآن بما يروونه عن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وبما يفهمونه منه

---

(١) هو الكتاب الذي وضعه ميرزا علي محمد الملقب بالباب.

على مقتضى استعمال لغتهم وأساليب بلاغتهم، فجاؤوا بعلم كثير، وأدب غزير، وتركوها حكماً رائعة، وشريعة سمحة باهرة، وقوانين اجتماع طاهرة، حتى قام جماعة من أوشـاب الناس يزعمون أن هذا القرآن الذي أنزله الله بلسان العرب لم يوكل بيانه إلى من كان يقرؤه على الناس بكرة وعشياً، ولم يفهم المراد منه أولئك الذين يتهجدون به في الأسحار سجداً لله وبكياً، وإنما وكل بيانه إلى أمثال ميرزا علي محمد، وميرزا حسين، وعباس، وأبي الفضل الجرفادقاني ليخوضوا فيه بلغو من القول، ويعثوا في تأويله مفسدين.

قال أبو بكر بن العربي في كتاب «القواصم والعواصم» يرد على إخوانهم الباطنية قولهم: إن خليفة الله هو الذي يبلغ عنه «الخليفة هو النبي الذي بين، ثم استأثر الله به، ولا معصوم بعده».

وفي كتاب «فضائح الباطنية» بسطة في رد ما يدعونه من ظهور الإمام المعصوم، وحصر مدارك الحق في أقواله، وقد عرفت أن الإمام المعصوم الذي يدعيه الباطنية هو ما يسميه البابية والبهائية بـ «من يظهره الله»، ويزعمون أنه هو الذي يعرف تأويل ما جاء به الرسل ـ عليهم السلام ـ، ويصرح هذا الإيراني في كتابه هذا بأن قصص القرآن غير واقعة، وقال: «لا يمكن للمؤرخ أن يستمد في معارفه التاريخية من آيات القرآن». وقال: «إن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ تساهلوا مع الأمم في معارفهم التاريخية، وأقاصيصهم القومية، ومبادئهم العلمية، فتكلموا بما عندهم، وستروا الحقائق تحت أستار الإشارات، وسدلوا عليها ستائر بليغ الاستعارات».

دعوى أن في القرآن قصصاً غير واقعة بزعم أنه رمز إلى معان خفية، ليس لها من داع سوى ما يضمره أصحابها من الكيد للقرآن الكريم، وإدخال

الريب في أنه تنزيل من لدن حكيم عليم.

لم يقم حتى الآن دليل تاريخي أو نظري يطعن في صحة قصة ساقها القرآن الحكيم، ونحن نستند في صحتها إلى الآيات الدالة على أن المبعوث به لا ينطق عن الهوى، فالمؤرخ المسلم، ومعلم التاريخ لأبناء المسلمين يستمد في معارفه التاريخية من آيات الذكر الحكيم، وهي عندنا أصدق قيلاً، وأقوى سنداً مما يقصه المؤرخ من حوادث تقع في عصره، أو قريب منه، وهذه الثقة بالطبيعة لا تحصل لمن ينكر أو يرتاب في أن القرآن حجة الله على العالمين، فلا تطالب المجوسي أو البهائي بأن يدخلوا في مؤلفاتهم التاريخية ما جاء في القرآن من أنباء الأولين، وهم لم يطمئنوا إلى أن محمداً ﷺ صادق أمين.

يزعم هذا الإيراني أن الرسول ينطق ببعض المبادئ العلمية مجاراة لقومه، وهي في الواقع غير صحيحة، وهذه جهالة غبي، وجراءة غوي، والرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وإن لم يُبعث لتقرير المسائل العلمية التي تدركها عقول البشرية بسهولة، أو بعد جهد؛ كالطبيعيات والرياضيات لا يتحدث عن شيء منها حديث من يصدق بها إلا أن تكون صواباً، ودعوى أن لها رموزاً إنما اخترعها الإيراني وأمثاله ليستروا بها وجه جحودهم، والبرقع الشفاف لا يحجب ما وراءه.

ولم يكن تأويل البهائية وأسلافهم الباطنية لنصوص الشريعة على هذا الوجه الناقض لأصولها بشيء ابتدعوه من أنفسهم ابتداعاً، وإنما هو صنع عملوا فيه على شاكلة طائفة من فلاسفة اليهود من قبل؛ فأنا نقرأ في ترجمة «فيلون» الفيلسوف اليهودي المولود ما بين عشرين وثلاثين قبل ميلاد المسيح

أنه ألف كتاباً في تأويل التوراة ذاهباً إلى أن كثيراً مما فيها رموز إلى أشياء غير ظاهرة، ويقول الكاتبون في تاريخ الفلسفة: إن هذا التأويل الرمزي كان موجوداً معروفاً عند أدباء اليهود بالإسكندرية قبل زمان «فيلون»، ويذكرون أمثلة تأويلهم أنهم فسروا آدم بالعقل، والجنة برياسة النفس وإبراهيم بالفضيلة الناتجة من العلم، وإسحاق عندهم هو الفضيلة الغريزية، ويعقوب هو الفضيلة الحاصلة من التمرين، إلى أمثال هذا من التأويل الذي لا يحوم عليه إلا الجاحدون المراؤون، ولا يقبله منهم إلا قوم هم عن مواقع الحكمة ودلائل الحق غافلون.

وأبو الفضل هذا من أبعد دعاة البهائية في الهذيان شأواً، وأشدهم لعلماء الإسلام ضغينة، وإذا أخذ في شتمهم، لا يشفى غليله إلا أن يصب كل الجمل التي يعرفها في المعنى الذي أراد شتمهم به، انظروا إلى قوله في (صفحة ١٤٧) من ذلك الكتاب المسمى: بالدرر البهية: «فتمادوا في غيهم، وأصروا على باطلهم، وتاهوا في ضلالتهم، ومردوا في جهالاتهم، وعموا في سكرتهم، وانهمكوا في غوايتهم»، فالرجل حفظ جملاً التقطها من بعض الصحف السائرة، أو من الكتب الغابرة، وصار يلقيها فيما يكتب من غير وزن، حاسباً أن هذا الصنيع من تزويق القول ينقل الناس من الجد إلى الهزل، ومن الحق إلى الضلال!.

في الباطنية من يدعي أنه نبي، أو يعتقد في آخر أنه نبي يوحي إليه، وميرزا علي الملقب (بالباب) يدعي أنه رسول من الله؛ ووضع كتاباً ادعى أن ما فيه شريعة منزلة، وسماه: «البيان» وقال في رسالة بعث بها إلى الشيخ محمود الألوسي صاحب التفسير المشهور المسمى: «روح المعاني» يدعوه

فيها إلى مذهبه: «إنني أنا عبدالله قد بعثني الله بالهدى من عنده». وسمى في هذه الرسالة مذهبه: دين الله، فقال: «ومن لم يدخل في دين الله، مثله كمثل الذين لم يدخلوا في الإسلام»!.

وكذلك يدعي زعيمهم المسمى: (بهاء الله)، ففي كتاب «بهاء الله والعصر الجديد»: «وقرر بهاء الله أن رسالته هي لتأسيس السلام على الأرض». وقال صاحب هذا الكتاب يتحدث عن الباب والبهاء: «من المستحيل إيجاد أي تغيير لعظمهما إلا بالاعتراف بأنهما إنما عملا بوحي من الله».

يدّعي الباب الرسالة، ويزعم أن شريعته ناسخة للشريعة الإسلامية، فابتدع لأتباعه أحكاماً خالف بها أحكام الإسلام وقواعده، فجعل الصوم تسعة عشر يوماً من شروق الشمس إلى غروبها. وعين لهذه الأيام وقت الاعتدال الربيعي؛ بحيث يكون عيد الفطر عندهم يوم النيروز على الدوام، وفي كتابه «البيان»: «أيام معدودات، وقد جعلنا النيروز عيداً لكم بعد إكمالها». وجعل ميرزا حسين الملقب ببهاء الله الصلاة تسع ركعات في اليوم والليلة، وكان عبدالله بن الخراب الكندي الذي اعتقد إلهيته كثير من أشباه الناس قد جعلها تسع عشرة صلاة في اليوم والليلة.

وقبلة البهائيين في صلاتهم التوجه أين يكون ميرزا حسين المسمى: بهاء الله، فإنه يقول لهم: «إذا أردتم الصلاة، فولوا وجوهكم شطري الأقدس»! وقال ابنه عباس: «يلزمنا التوجه إلى مركز معلوم، وهو مظهر الله». ومظهر الله في زعمهم هو هذا المسمى: بهاء الله.

أما الحج، فقد أبطله البهاء، وأوصى بهدم بيت الله الحرام عند ظهور رجل مقتدر من أشياعه.

ومن الباطنية من منع العوام من مدارسة العلوم، والخواص من النظر في الكتب المتقدمة؛ حتى يبقوا في عماية، وهو الحسن بن محمد الصباح. ونجد ميرزا علي المسمى: الباب قد حرّم في كتابه «البيان» التعلم، وقراءة كتب غير كتبه، فكان كل من يؤمن بالباب يحرق القرآن الكريم وما وقع في يده من كتب العلم، ولكن الميرزا حسين المسمّى: (بهاء الله) أدرك ما في هذا التحجير من خطأ مكشوف، وأنه مما يصرف عنهم ذوي العقول النابهة، فأتى في كتابه الذي سمّاه: «الأقدس» بما ينسخه، فقال: «قد عفا الله عنكم ما نزل في «البيان» من محو الكتب، وأذنَّاكم بأن تقرؤوا من العلوم ما ينفعكم».

وفي الباطنية من يدعي حلول الإله في بعض الأشخاص، كما قال القرامطة بإلهية محمد بن إسماعيل بن جعفر، وهذه الدعوى ـ أعني: دعوى الحلول ـ تظهر في بعض مقالات البهائية.

قال عباس الملقب بـ (عبد البهاء): «وقد أخبرنا بهاء الله بأن مجيء رب الجنود، والأب الأزلي، ومخلص العالم الذي لا بد منه في آخر الزمان، كما أنذر جميع الأنبياء، عبارة عن تجليه في الهيكل البشري، كما تجلى في هيكل عيسى الناصري، إلا أن تجليه في هذه المرة أتم وأكمل وأبهى، فعيسى وغيره من الأنبياء هيؤوا الأفئدة والقلوب لاستعداد هذا التجلي الأعظم».

يريد بهذا: أن الله تجلى فيه بأعظم من تجليه في أجسام الأنبياء على ما يزعم، وقال مهذارهم أبو الفضل الإيراني: «فكل ما توصف به ذات الله، ويضاف ويستند إلى الله من العزة والعظمة، والقدرة والعلم والحكمة، والإرادة والمشيئة، وغيرها من الأوصاف والنعوت، إنما يرجع بالحقيقة إلى مظاهر

أمره، ومطالع نوره، ومهابط وحيه، ومواقع ظهوره».

ويظهر هذا من اللوح الذي كتبه المسمى (بهاء الله) في التنويه بشأن ابنه عباس؛ فإنه قال: «إن لسان القدم[1] يبشر أهل العالم بظهور الاسم الأعظم[2] الذي أخذ عهده بين الأمم، أنه نفسي، ومطلع ذاتي، ومشرق أمري، من توجه إليه، فقد توجه إلى وجهي، واستضاء من أنوار جمالي، واعترف بوحدانيتي، وأقر بفردانيتي. . . إلخ)!.

وقلد البهائية الفلاسفة فيما يدعونه من قدم العالم، ففي كتاب «بهاء الله والعصر الجديد»: «علم بهاء الله أن الكون بلا مبدأ زمني، فهو صادر أبدي من العلة الأولى، وكان الخلق دائماً مع خالقه، وهو دائماً معهم».

وقد تصدى أهل العلم الراسخ لتزييف ما تعلق به هؤلاء في الاستدلال على هذا الرأي، وحققوا أن المعلول لا بد أن يتأخر عن العلة في الوجود؛ إذ معنى العلة: ما أفاض على الشيء الوجود، والمعلول: ما قبل منه هذا الوجود، ولا معنى لإفاضة الوجود على الممكن إلا إخراجه إلى الوجود بعد أن كان في عدم، وذلك معنى الحدوث.

ومن عجيب أمر هذه الطائفة: أنهم يدعون النبوة والرسالة، وما فوق الرسالة، وينكرون المعجزات بدعوى أنها غير معقولة، تجدون هذا الإنكار في كتاب داعيتهم المسمّى: أبا الفضل، فقد ذكر انفلاق البحر، وانفجار العيون من الحجر لموسى ـ عليه السلام ـ، وإبراء عيسى ـ عليه السلام ـ للأكمه والأبرص، وإحياءه الموتى بإذن الله، ونبع الماء من بين أصابع

---

(١) يفسره البهائية ببهاء الله.

(٢) يفسرونه بعباس عبد البهاء.

محمد ﷺ، وقال: وكثير من أهل الفضل، وفرسان مضمار العلم اعتقدوا بأن جميع ما ورد في الكتب والأخبار من هذا القبيل كلها استعارات عن الأمور المعقولة، والحقائق الممكنة مما يجوزه العقل المستقيم، ثم أخذ يؤول ما ورد في تلك المعجزات من قرآن وحديث، ويحمله على معان لا يقبلها منه إلا من فقد عقله قبل أن يفقد إيمانه، وإنكارهم للمعجزات ينبئكم أن القوم يمشون مكبين على وجوههم وراء الفلسفة التي لا تؤمن بأن لهذا العالم خالقاً فعالاً لما يريد.

وملخص القول في البابية والبهائية: أنه مذهب مصنوع من ديانات ونحل وآراء فلسفية، قال صاحب كتاب «مفتاح باب الأبواب» يصف البابيين: «لهم دين خاص مزيج من أخلاط الديانات البوذية[١]، والبرهمية الوثنية[٢]، والزرادشتية[٣]، واليهودية، والمسيحية، والإسلامية، ومن اعتقادات الصوفية، والباطنية».

وما زالت البهائية مذهباً قائماً على أطلال الباطنية يحمل في سريرته القصد إلى هدم الإسلام بمعول التأويل، ودعوى الرسالة والوحي بشريعة ناسخة لأحكامه، حتى جاء عباس عبد البهاء إلى هذا المذهب المصنوع، وأراد أن يكسوه ثوباً جديداً، فخلطه بآراء التقطها مما يتحدث به بعض الناس على أنها من مقتضيات المدنية، أو مما اكتشفه العلم حديثاً، نحو:

---

(١) دين الصينيين واليابانيين.

(٢) أصل ديانة الهنود.

(٣) ديانة قديمة تنسب إلى إبراهيم زرداشت الإيراني، ولا يزال لأتباعها طائفة بالبلاد الهندية، وأخرى بالبلاد الإيرانية.

التساوي بين الرجال والنساء في التعليم، ونزع السلاح، واتفاق الأمم على لغة واحدة تدرس في العالم كله، وتأسيس محكمة عمومية تحل مشاكل الأمم، وأن الإنسان تدرج بالارتقاء من أبسط الأنواع حتى وصل إلى شكله الحالي (نظرية داروين)، ولهجوا بعد هذا بكلمة نشر السلام العام، ونبذ التعصبات الدينية.

وقد تخيل عباس أنه بإدخال مثل هذه الآراء في مذهب البهائية يستدرج المولعين بالجديد من النابتة الحديثة، ولهذا الطمع ترونه يقول: «تحتوي تعاليم بهاء الله على جميع آمال ورغائب فرق العالم، سواء كانت دينية أو سياسية أو أخلاقية، وسواء كانت من الفرق القديمة أو الحديثة، فالجميع يجدون فيها ديناً عمومياً في غاية الموافقة للعصر الحاضر[١]، وأعظم سياسة للعالم الإنساني».

وصرح في مقال آخر بأنه يريد أن يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود، ويجمعهم على أصول نواميس موسى ـ عليه السلام ـ الذين يؤمنون به جميعاً[٢].

ولا أحسب عبد البهاء عباساً يقصد من هذا الحديث إلا التزلف لليهود، والتظاهر بموالاتهم؛ ليجعلهم من أشياعه، وإلا، فكيف يقع في خاطر من عرف القرآن أن يعمل على صرف الناس عن شريعة الإسلام، ويرجع بها إلى شفا حفرة من النار بعد أن أنقذهم الله منها؟!.

يذكر الشيخ ابن تيمية: أن الباطنية «هم دائماً مع كل عدو للمسلمين»، وقال: «إن التتار ما دخلوا بلاد الإسلام، وقتلوا خليفة بغداد وغيره من

---

(١) كتاب «عبد البهاء والبهائية» (ص٨٧).

(٢) كتاب «عبد البهاء والبهائية» (ص٩٣).

ملوك الإسلام إلا بمعاونتهم».

وكذا نجد في البابية تحيزاً إلى أعداء المسلمين، وانظروا إلى عباس عبد البهاء كيف يتحيز إلى اليهود، ويبشر بأن فلسطين ستصير وطناً لهم. فقال: «سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة، وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة».

وقال: «تأتي طوائف اليهود إلى الأرض المقدسة، ويزدادون تدريجاً إلى أن تصير جميعاً وطناً لهم».

فالبهائية شأنهم شأن الباطنية في بغض الإسلام، وموالاة خصومه، ولنا الأمل الوثيق في أن العرب وسائر المسلمين من ورائهم سيقفون في وجه الاستعمار الصهيوني، والدعاية البهائية التي تظاهرها وتسعدها، حتى تبقى فلسطين وطناً عربياً إسلامياً، على الرغم من عبد البهاء والبهائيين.

س ـ هل يعتقدون في الحشر والجنة والنار؟.

ج ـ لا يؤمن البهائيون بالبعث، ولا بالجنة والنار، ويفسرون يوم الجزاء ويوم القيامة بمجيء ميرزا حسين الملقب ببهاء الله، قال في كتاب «بهاء الله والعصر الجديد»:

«وطبقاً للتفاسير البهائية يكون مجيء كل مظهر إلهي عبارة عن يوم الجزاء، إلا أن مجيء المظهر الأعظم بهاء الله هو يوم الجزاء الأعظم للدورة الدنيوية التي نعيش فيها». وقال: «ليس يوم القيامة أحد الأيام العادية، بل هو يوم يبتدئ بظهور المظهر، ويبقى ببقاء الدورة العالمية».

هذا ما يفسرون به يوم الجزاء ويوم القيامة، ويفسرون الجنة بالحياة الروحانية، والنار بالموت الروحاني، قال في هذا الكتاب: «إن الجنة والنار

في الكتب المقدسة حقائق مرموزة»، فعندهما ـ أي: البهاء وابنه عباس ـ الجنة هي حالة الكمال، والنار حالة النقص، فالجنة هي الحياة الروحانية، والنار هو الموت الروحاني.

هذا ما يقوله البهائية، وكذلك ينقل لنا أبو حامد الغزالي أن الباطنية يقولون: «كل ما ورد من الظواهر في التكاليف والحشر والأمور الإلهية، فكلها أمثلة ورموز إلى بواطن». وساق بعد هذا أمثلة في تأويلهم الفاسق عن قانون اللغة والعقل، وقال: «هذا من هذيانهم في التأويلات، حكيناها ليضحك منها، ونعوذ بالله من صرعة العاقل، وكبوة الجاهل»!.

وقد قلدوا في إنكار البعث طائفة الدهريين، وأخذتهم شبههم التي لا تستطيع أن تنهض أمام أدلة القرآن الحكيم، قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧ ـ ٧٩].

س ـ هل يعتقد البهائيون بنبوة سيدنا محمد ﷺ؟.

ج ـ مخالفة البهائيين لما جاء به رسول الله ﷺ من معتقدات وأحكام، وتهجمهم على تأويل القرآن والحديث بمثل ما نقلناه عن زعمائهم؛ شاهد على أن قلوبهم جاحدة لرسالته، وإذا تحدثوا عنه في بعض كتبهم متظاهرين بتصديق نبوته، فما هم إلا كسائر الأفراد أو الطوائف الذين يعملون لهدم الإسلام تحت ستار.

ومن خبال زعيمهم الأول: دعواه في تفسيره لسورة يوسف أنه أفضل من رسول الله ﷺ، وعلل هذا الكلام بما لا يفهمه إلا من يفهم لغة المبرسمين

إذ قال: «لأن مقامه (الباب) هو مقام النقطة، ومقام النبي ﷺ مقام الألف».
وقال: «كما أن محمداً أفضل من عيسى، فكتابه «البيان» أفضل من القرآن».
وقال: «إن أمر الله في حقي أعجب من أمر محمد رسول الله من قبل لو أنتم فيه تتفكرون»!!.

ولسنا في حاجة إلى الرد عليه في دعوى أنه أفضل من رسول الله ﷺ، ولا في دعوى أن كتابه «البيان» أفضل من القرآن، فعامة المسلمين كخاصتهم يعلمون أن هذه الدعوى من صنف الدعاوي التي تنادي على نفسها بالزور والهذيان، وأولو العقول من غير المسلمين يعرفون عظمة محمد بن عبدالله ﷺ، وما بثه في العالم من إصلاح، فمن يدّعي أنه مثل محمد، أو أنه أتى بكتاب يحاكي القرآن، كان في حاجة إلى علاج يعيد عليه شيئاً من رشده، ويجعله على بصيرة من نفسه.

س ـ إذا كانوا يعترفون بنبوة سيدنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فكيف يعتقدون بنبي بعده، ودين غير دينه؟.

ج ـ البهائيون لا يعترفون بنبوة سيدنا محمد ﷺ، ولهذا سهل على زعمائهم أن يدعوا النبوة من بعده! قال تعالى:

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ومعنى الآية الذي لا يذهب الفهم إلى خلافه: أنه النبي الذي انقطع به وصف النبوة، فلا يتحقق في أحد من الخليقة بعده.

وورد هذا مبيناً في صريح السنّة الصحيحة، ففي «صحيح الإمام البخاري»، «وصحيح مسلم»: أن النبي ﷺ قال: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى داراً بناء، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية،

فجعل الناس يطوفون به، ويتعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين».

وقد انعقد إجماع المسلمين على هذا جيلاً بعد جيل، وأصبح معلوماً من الدين بالضرورة، فمن أنكره، وادعى لنفسه أو لغيره النبوة بعد رسول الله ﷺ، فقد انسلخ من الإسلام، وكان من الغاوين، وإذا شهد لسانه بنبوة محمد ﷺ، فهو من أولئك الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، فالبابيون لا يدخلون في المعترفين بنبوة رسول الله ﷺ في حال.

وقد ذكرهم العلامة الألوسي في تفسير قوله تعالى:

﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠].

فقال: «وقد ظهر في هذ العصر عصابة من غلاة الشيعة لقبوا أنفسهم بالبابية لهم في هذا الباب فصول يحكم بكفر معتقدها كلُّ من انتظم في سلك ذوي العقول، وقد كاد عرقهم يتمكن في العراق لولا همة واليه النجيب الذي وقع على همته وديانته الاتفاق حيث خذلهم ـ نصره الله تعالى ـ، وشتت شملهم، وغضب عليهم ﷺ، وأفسد عملهم، فجزاه الله تعالى عن الإسلام خيراً، ودفع عنه في الدارين ضيماً وضيراً».

س ـ ما هو الواجب عمله لإحباط مساعيهم حتى لا يقع أحد في شراكهم؟.

ج ـ لو كان التعليم الديني في الشعوب الإسلامية إلزامياً ومقرراً في جميع مدارسها، لم يجد أشباه الباطنية إلى إزاغة قلب الفتى المسلم طريقاً، وتركُ كثيرٍ من أبنائنا لا يعرفون من الإسلام إلا أسماء، أو لا يلقنون إلا مبادئ مقطوعة عن حججها العقلية أو النقلية، قد يسر لأمثال البهائية أن ينصبوا

حبائلهم بين المسلمين، ويصطادوا من النفوس الجاهلة قليلاً أو كثيراً.

ولا ننسى أن الذي ساعد البهائية على أن تستهوي فريقاً من المسلمين: تظاهرها بأنها فرقة إسلامية، واحتجابها بالقرآن والحديث، وكتمها بعض معتقداتها المنكرة على البداهة، وعدم انتشار كتبها، فكثير من أهل العلم لم تصل إليهم كتب هذه الطائفة حتى يستبينوا منها حقيقة نحلتهم، ويحذروا الناس من الوقوع في شراكهم.

أما اليوم، فقد أخذهم الغرور، وصاروا يذيعون شيئاً من أسرار نحلتهم على المنابر وعلى صفحات الجرائد، ويتحدثون عنها في مؤلفات تطبع وتعرض على الناس في المكاتب، فهي بما تحمله من مقالات ملفقة ودعاوي غير معقولة قد بحثت عن حتفها بظلفها، فلا نخشى على من له نباهة أو فطرة سليمة أن يعتقد بنبوة ميرزا حسين، أو عباس عبد البهاء، ولا نخشى على من وصل إلى نفسه أثر من هداية الإسلام أن يتبدل بها مزاعم أبي الفضل الإيراني، وإذا جاز أن يكون في طبقة العامة أو أشباههم من لا يتنبه لما في البهائية من كيد للإسلام، وإغواء عن شريعته الغراء، فإن العلماء والوعاظ - أينما كانوا - سيكشفون للناس عن بطانة هذا المذهب؛ ليحترسوا من دعاته، ويحذروا أن يمسهم شيء من نزعاته.

وقد علم طائفة من دعاة الإباحية والخروج على الدين ما ينطوي عليه هذا المذهب من مناوأة للدين الحق، فقاموا يظاهرونه في النوادي والصحف، ويزينونه في أعين الناس؛ ظناً منهم أن علماء الإسلام ما زالوا عن سريرة هذا المذهب غافلين.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
* المقدمة	٣
* طائفة القاديانية	٥
- غلام أحمد: أصله وولادته ونشأته	٩
- ادعاء غلام أحمد الوحي والنبوة والرسالة	١٥
- زعمه أن له آيات على صدقه	٢١
- غروره وتفضيله نفسه على بعض رسل الله الأكرمين	٢٣
- تكفيره لمن لا يؤمنون برسالته	٢٤
- القاديانية فرقتان	٢٦
- وجوب مقاومتهم والتحذير من دعايتهم	٢٧
* تفنيد مذهب القاديانية	٢٩
- خيبة مدعي النبوة	٣٠
- انقطاع النبوة بعد رسول الله ﷺ	٣٧
- دفع شبهة يتشبث بها القاديانية	٣٩
- دعوى غلام أحمد أنه أفضل من عيسى - عليه السلام -	٤٧
- تكفير غلام أحمد لمن عصمهم الله من اتّباعه	٤٨
- تزوير داعية القاديانية	٥٠

الموضوع	الصفحة
ـ اقتراح غلام أحمد على علماء الهند أن يتركوه عشر سنين	٥١
ـ ادعاء غلام أحمد النبوة	٥٣
* نقض شبه القاديانية	٥٦
* البابية والبهائية	٦٨
ـ ما البهائية؟	٦٩
ـ ما اعتقاد مؤسسيها وأتباعهم؟	٧١
ـ هل يعتقدون في الحشر والجنة والنار؟	٨٤
ـ هل يعتقد البهائيون بنبوة سيدنا محمد ﷺ؟	٨٥
ـ إذا كانوا يعترفون بنبوة سيدنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فكيف يعتقدون بنبي بعده، ودين غير دينه؟	٨٦
ـ ما هو الواجب عمله لإحباط مساعيهم حتى لا يقع أحد في شراكهم؟	٨٧
* فهرس الموضوعات	٨٩



الفهرس العام للموسوعة

الموضوع	الصفحة

نقض كتاب
الإسلام وأصول الحكم

* المقدمة 4001

* مقدمة الإمام محمد الخضر حسين 4006

الكتاب الأول

* الباب الأول ـ ملخص الباب 4011

ـ مناقشة المؤلف في جمل أوردها للدلالة على أن المسلمين يتغالون في احترام الخليفة 4012

ـ بحث في قولهم: طاعة الأئمة من طاعة الله 4015

ـ بحث في قولهم: النصح للأئمة لا يتم إيمان إلا به 4016

ـ بحث في قولهم: السلطان ظل الله في الأرض 4017

ـ مناقشة المؤلف في زعمه: أن ولاية الخليفة عند المسلمين كولاية الله ورسوله 4018

ـ من أين يستمد الخليفة سلطته؟ 4021

ـ مناقشة المؤلف فيما استشهد به من أقوال الشعراء 4025

ـ الفرق بين مذهب «هبز» وحق الخليفة في الإسلام 4033

* الباب الثاني ـ حكم الخلافة 4035

الموضوع	الصفحة
- الإجماع على نصب الإمام	4035
- التباس حاتم الأصم بحاتم الصوفي على المؤلف	4037
- الفرق بين القاعدة الشرعية والقياس المنطقي	4039
- ترجيح حمل «أولي الأمر» في الآية على الأمراء	4040
- هل نأخذ أحكام الدين عن المستر أرنولد؟	4042
- معنى ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]	4043
- لماذا لم يحتج بعض علماء الإسلام في مسألة الخلافة بالحديث؟	4045
- لماذا وضع بحث الخلافة في علم الكلام؟	4048
- بحث في: «أعطوا ما لقيصر لقيصر»	4049
*** الباب الثالث - الخلافة من الوجهة الاجتماعية - ملخص الباب**	4053
- المناقشة - بحث في الاحتجاج بالإجماع	4054
- الإمام أحمد والإجماع	4057
- المسلمون والسياسة	4058
- كلمات سياسية لبعض عظماء الإسلام	4068
- النحو العربي ومناهج السريان	4071
- الإسلام والفلسفة	4072
- بحث في مبايعة الخلفاء الراشدين وأنها كانت اختيارية	4074
- بحث في قوة الإرادة	4080
- بحث في الخلافة والملك والقوة والعصبية	4081
- نظام الملكية لا ينافي الحرية والعدل	4085
- إبطال دعوى المؤلف: أن ملوك الإسلام يضغطون على حرية العلم	4089

الموضوع	الصفحة
ـ عدم تمييز المؤلف بين الإجماع على وجوب الإمامة، والإجماع على نصب خليفة بعينه	4097
ـ وجه عدم الاعتداد برأي من خالفوا في وجوب الإمامة	4099
ـ القرآن والخلافة	4101
ـ السنة والخلافة	4103
ـ الإجماع والخلافة	4105
ـ شكل حكومة الخلافة	4110
ـ وجه الحاجة إلى الخلافة	4114
ـ آثارها الصالحة	4117

الكتاب الثاني
الحكومة والإسلام

*** الباب الأول ـ نظام الحكم في عصر النبوة**	4123
ـ النقض ـ بحث القضاء في عهد النبوة	4124
ـ العرب والسياسة الشرعية	4125
ـ القضايا التي ترفع إلى الحكام نوعان	4128
ـ البحث في تولية معاذ وعلي وعمر رضي الله عنهم القضاء	4131
ـ القضاء في عهد النبوة موكول إلى الأمراء	4144
ـ نبذة من مبادئ القضاء في الإسلام وآدابه	4148
ـ المالية في عهد النبوة	4157
ـ لماذا لم يكن في عهد النبوة إدارة «بوليس»؟	4161
ـ احتمال الأذى في سبيل الذود عن الحق	4167

الموضوع	الصفحة
* الباب الثاني ـ الرسالة والحكم ـ ملخصه	4169
ـ النقض	4171
ـ الملك	4172
ـ الرسول ـ عليه السلام ـ ذو رياسة سياسية	4173
ـ بحث في: «أعطوا ما لقيصر لقيصر»	4174
ـ الجهاد النبوي	4178
ـ الجزية	4180
ـ المخالفون أنواع ثلاثة	4181
ـ سر الجهاد في الإسلام	4181
ـ خطأ المؤلف في الاستدلال بآيات على أن الجهاد خارج عن وظيفة الرسالة	4182
ـ من مقاصد الإسلام أن تكون لأهله دولة	4184
ـ تفنيد قول المؤلف: الاعتقاد بأن الملك الذي شيده النبي ﷺ لا علاقة له بالرسالة، ولا تأباه قواعد الإسلام	4189
ـ التنفيذ جزء من الرسالة	4190
ـ وجه قيام التشريع على أصول عامة	4193
ـ مكانة الصحابة في العلم والفهم	4196
ـ الشريعة محفوظة	4197
ـ معنى كون الدين سهلاً بسيطاً	4199
* الباب الثالث ـ رسالة لا حكم، ودين لا دولة (في زعم المؤلف)	4202
ـ النقض	4205
ـ المؤلف يُدخل في الإسلام ما يتبرأ منه التوحيد الخالص	4206

الموضوع	الصفحة

- الاعتقاد بحكمة الأمر لا يكفي للعمل به 4208
- خطأ المؤلف في الاستشهاد بآيات على أن وظيفة الرسول لا تتجاوز حدود البلاغ 4209
- خطأ المؤلف في حمل آيات على القصد الحقيقي 4214
- خطأ المؤلف في فهم حديثين 4217
- الشريعة فصلت بعض أحكام، ودلت على سائرها بأصول يراعى في تطبيقها حال الزمان والمكان 4220
- الاجتهاد في الشريعة وشرائطه 4222
- فتوى منظومة لأحد فقهاء الجزائر 4224

الكتاب الثالث
الخلافة والحكومة في التاريخ

* **الباب الأول ـ الوحدة الدينية والعربية ـ ملخصه** 4233
- النقض ـ سياسة الشعوب وقضاؤها في العهد النبوي 4234
- درة عمر بن الخطاب وإدارة البوليس 4239
- التشريع الإسلامي والزراعة والتجارة والصنائع 4240
- التشريع الإسلامي والأصول السياسية والقوانين 4243
- أحكام الشريعة معللة بالمصالح الدنيوية والأخروية، والمصلحة الدنيوية منها هي ما يبحث عنه أصحاب القوانين الوضعية 4246
- لماذا لم يسمِّ النبي ﷺ من يخلفه؟ 4253
- بحث لغوي في خلف واستخلف 4255
- تحقيق أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ جاء للمسلمين بشرع يرجعون إليه في الحكومة بعده 4257

الموضوع	الصفحة
*** الباب الثاني ـ الدولة العربية ـ ملخصه**	4259
ـ النقض	4259
ـ حكومة أبي بكر وسائر الخلفاء الراشدين دينية	4260
ـ أصحاب رسول الله ﷺ خير أمة أخرجت للناس	4264
ـ أسباب سيادة الإسلام لعهد الخلفاء الراشدين	4265
ـ بيعة أبي بكر اختيارية إجماعية	4265
ـ كلمة في سيرة أبي بكر	4267
*** الباب الثالث ـ الخلافة الإسلامية ـ ملخصه**	4274
ـ النقض	4275
ـ أبو بكر لا يخادع الناس بالألقاب الدينية	4277
ـ هل يقال: خليفة الله؟	4279
ـ الخليفة عند المسلمين غير معصوم	4280
ـ حكم المرتدين في الإسلام	4281
ـ حكم مانعي الزكاة	4283
ـ سبب حروب أهل الردة ومانعي الزكاة	4283
ـ واقعة قتل مالك بن نويرة	4284
ـ محاورة عمر وأبي بكر في قتال مانعي الزكاة	4288
ـ حكمة رأي أبي بكر في تلك الحروب	4289
ـ معنى طاعة الأئمة من طاعة الله	4290
ـ السلطان ظل الله في الأرض	4290
ـ وجه ذكر مسألة الخلافة في علم الكلام	4291

الموضوع	الصفحة
ـ تعسف المؤلف وغلوه في إنكار فضل خلفاء الإسلام وملوكه	4292
ـ معنى الرجوع إلى أصول الشريعة في الحكم والسياسة	4294
ـ الخلافة والقضاء من الخطط الدينية السياسية	4294
ـ لا حرية للشعوب الإسلامية إلا أن تساس على مقتضى شريعتها	4297
* فهرس الموضوعات	4300

* * *

جبهة الدفاع
عن
إفريقيا الشمالية

* المقدمة	4309
ـ الحرية في الإسلام	4313
ـ في معتقل جمال السفاح بدمشق	4318
ـ جهاد الإمام في برلين	4321
ـ جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية	4324
ـ جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية	4326
ـ الإمام محمد الخضر حسين والرئيس الحبيب بورقيبة	4336
ـ جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية	4341
ـ مع رئيس جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا	4342
ـ نداء وبيان من جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية	4346
ـ مذكرة من جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية إلى مؤتمر جامعة الدول العربية	4349
ـ إلى هيئة الأمم المتحدة	4353
ـ المستعمرون هم أعداء الحرية	4355

الموضوع	الصفحة

- أساليب الاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا 4358
- مذكرة مرفوعة من جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية إلى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود عند زيارته مصر 4364
- مصير شمال إفريقيا إلى الحرية والاستقلال 4367
- الجهاد لإفريقيا الشمالية 4372
- مذكرة من جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية إلى الجامعة العربية 4377
- ألف قتيل مراكشي في الدار البيضاء ـ تجريد الجنود المراكشيين والشرطة من سلاحهم 4380
- لائحة المؤتمر الوطني التونسي 4382
- سياسة فرنسا في تونس من نشرة أصدرتها جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية 4387
- صرخة المغرب 4389
- بسم الله الرحمن الرحيم 4392
- الإمام محمد الخضر حسين قدوة الأفاضل من التونسيين 4395
- خطبة الأستاذ محمد الخضر حسين في دار جمعية الهداية الإسلامية في الاجتماع الذي عقد لذكرى مرور عام على الظهير البربري 4397
- قانون جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية 4401

* **فهرس الموضوعات** 4405

* * *

القاديانية والبهائية

* **المقدمة** 4409
* **طائفة القاديانية** 4411

الموضوع	الصفحة
ـ غلام أحمد: أصله وولادته ونشأته	4415
ـ ادعاء غلام أحمد الوحي والنبوة والرسالة	4421
ـ زعمه أن له آيات على صدقه	4427
ـ غروره وتفضيله نفسه على بعض رسل الله الأكرمين	4429
ـ تكفيره لمن لا يؤمنون برسالته	4430
ـ القاديانية فرقتان	4432
ـ وجوب مقاومتهم والتحذير من دعايتهم	4433
* **تفنيد مذهب القاديانية**	4435
ـ خيبة مدعي النبوة	4436
ـ انقطاع النبوة بعد رسول الله ﷺ	4443
ـ دفع شبهة يتشبث بها القاديانية	4445
ـ دعوى غلام أحمد أنه أفضل من عيسى ـ عليه السلام ـ	4453
ـ تكفير غلام أحمد لمن عصمهم الله من اتّباعه	4454
ـ تزوير داعية القاديانية	4456
ـ اقتراح غلام أحمد على علماء الهند أن يتركوه عشر سنين	4457
ـ ادعاء غلام أحمد النبوة	4459
* **نقض شبه القاديانية**	4462
* **البابية والبهائية**	4474
ـ ما البهائية؟	4475
ـ ما اعتقاد مؤسسيها وأتباعهم؟	4477

الموضوع	الصفحة
ـ هل يعتقدون في الحشر والجنة والنار؟	4490
ـ هل يعتقد البهائيون بنبوة سيدنا محمد ﷺ؟	4491
ـ إذا كانوا يعترفون بنبوة سيدنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فكيف يعتقدون بنبي بعده، ودين غير دينه؟	4492
ـ ما هو الواجب عمله لإحباط مساعيهم حتى لا يقع أحد في شراكهم؟	4493
* فهرس الموضوعات	4495
* الفهرس العام للموسوعة	4497

